جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الأَيَّامُ لِطه حُسَيْن
قِرَاءَةٌ في إِشْكَالِيَّةِ التَّجْنِيسِ السَّرْدِيّ

إعداد

د. عفاف عبد المُنعِم حُسَين عبد المُطَّلِب
أُستاذُ الأَدَبِ والنّقدِ المُشَارِكُ
قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ كُلِّيَّةُ العُلُومِ والآدَابِ
جَامِعَةُ نَجْرَانَ المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ.

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)
(الجزء الثاني (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

الأيّامُ لطه حُسَين قراءةٌ في إشْكَاليّةِ التّجْنِيسِ السّرْدِيّ

عفاف عبد المُنعِم حُسَين عبد المُطّلِب
قِسْمُ اللُّغَةِ العَربيَّةِ، كُلِّيَّةُ العُلُومِ والآدَابِ، جَامِعَةُ نَجْرَانَ، المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ.
البريد الإلكتروني: Afafabdelm12@gmail.com

المُسْتَخْلَصُ:

هَذِهِ دِرَاسَةٌ بنيويَّةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ لنَصِّ الأَيَّامِ؛ بوصْفِهِ نَصًّا إِشْكاليًّا مُراوِغًا بينَ الرّوايَةِ والسِّيرَةِ الذَاتيَّةِ، أَملَاهُ سَارِدُهُ بِشَكْلٍ مُتفرّدٍ، بمَا لدَيهِ مِنْ مَقدِرَةٍ اُسْلُوبِيَّةٍ فَذَّةٍ، استَطَاعَ أنْ يُوظِّفَها في نَصِّ الأَيَّامِ، كمَا جَاءَ سَردُ الأَحْدَاثِ بشَكلٍ مختلفٍ يؤكّدُ ريادةَ طه حُسَين لأدبِ السِّيرَةِ الذَّاتِيّةِ في العصرِ الحديثِ. وَقَدْ مَثَّلَ نصُّ الأَيَّام رافدًا إبداعيًّا جديدًا لفنِّ السِّيرَةِ والرِّوَايَةِ عَلَى حدٍّ سَواءٍ؛ نَظرًا للتَّداخُلِ واللَّغطِ الدَّائرِ بَينَهما، كَمَا مَثَّلَ تيَارًا لِلوَعْيِ ضِدَّ الجَهْلِ والخُرَافةِ وفُقدَانِ الوَعي؛ ممَّا أَفْقدَهُ بَصَرهُ؛ فأَضَاءَ بَصِيرتَه، فَعَمدَ من خِلَالِ الأَيَّامِ أنْ يَدُقَّ نَاقُوسَ الخَطَرِ في وِجْدَانِ الأُمَّةِ، مُنبِّهًا إيَّاها حَتَّى لا يُصِيبَ غيرَهُ ما أَصَابَهُ مِنْ أَلَمٍ ومُعَانَاةٍ. عَمَدَ السَّارِدُ إِلَى تَقْدِيمِ تَجَربتِهِ الذّاتيَّةِ في شَحْنٍ إبستمولُوجِيّ وسيكُولُوجيّ وسُوسيُولوجِي؛ ولكِنّها لمْ تَخْلُ مِنَ المُتْعَةِ والإبْدَاعِ، وانطِلَاقًا من مفهومِ المرَايا المُتَجَاوِرَةِ؛ الذي يَرَى النَّصَّ السِّير ذَاتِيّ مِرآةً لِسِيرَةِ صَاحِبِهِ الشَّخْصِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ. دَرَسْتُ النصّ بنيويًّا وأُسلُوبيًّا؛ فمن الناحيةِ البنيويَّةِ توقَّفَ البحثُ أمام التَكْوِينِ البنيويِّ لنصّ الأَيَّامِ؛ فوجدَ أنّ الحِكايةَ السَّرديَّةَ لنصِّ الأَيَّامِ تَمُورُ بينَ الذَّاتيّ والموضوعيّ. جاءَ التَّقسِيمُ الشَّكْليّ للكِتَابِ مُتجاوبًا مع تطوّرِ الحدثِ والشَّخصيَّاتِ والكُرونوتُوب؛ فَحَدثَ التَّمَاهِي بينَ بِنْيَةِ الأَجزاءِ وتصَادٍ بينَ الحَدثِ والسَّارِدِ، وسيطرتْ تِقنيَةُ الاسترجَاعِ كما كَانَ لِلمَكَانِ والوَصفِ دَورهُمَا في البنيَةِ السَّرْديَّة، وعلى آليَّاتِ السَّرْدِ، كما درسَ البحثُ إشكاليّة بناءِ النّصّ بينَ السِّيرَةِ الذَّاتِيَّةِ والرِّوَايَةِ؛ وانتَقَلَ إِلَى دِرَاسَةِ النَّصِّ السِّيرِيّ دِرَاسَةً أُسْلُوبيّةً من حيثُ ابتِداعُهُ ضَمِيرَ الغائِبِ، والطَّفرَات الأُسلُوبيَّةِ، والإيقَاعِ الصَّوتيّ.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّةُ: الأيَّامُ، التَّجنِيسُ، السِّير ذَاتيّ، البنيويَّةُ، الأُسلُوبيَّةُ.

Al-Ayyam by Taha Hussein, a reading of the problem of narrative naturalization

Afaf Abdel Moneim Hussein Abdel Muttalib
Department of Arabic Language, College of Sciences and Arts, Najran University, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: *Afafabdelm12@gmail.com*

Abstract:

This is a stylistic structural study of the text of the Days. As a problematic text that oscillates between novel and autobiography, it was dictated by its narrator in a unique way, with his unique stylistic ability, which he was able to employ in The text of the days, as well as the narration of events in a different form, confirms Taha Hussein's pioneering of autobiographical literature in the modern era. The text of days represented a new creative tributary to the art of biography and the novel alike. Due to the interference and confusion going on between them, it also represented a stream of consciousness against ignorance, superstition, and loss of awareness. Which caused him to lose his sight; His insight was illuminated, and over the course of days, he deliberately sounded the alarm in the conscience of the nation, alerting it so that the pain and suffering that befell him would not befall anyone else. The narrator intended to present his personal experience in an epistemological, psychological, and sociological context. But it was not devoid of fun and creativity, and based on the concept of adjacent mirrors; Who sees the autobiographical text as a mirror of its author's personal and intellectual biography. I studied the text structurally and stylistically. From a structural standpoint, the research stopped at the structural composition of the text of the days. He found that the narrative story of the text of days passes between the subjective and the objective. The formal division of the book came in response to the development of the event, the characters, and the chronotope. There was identification between the structure of the parts and a clash between the event and the narrator. The retrieval technique dominated, and the place and description had their role in the narrative structure and the narrative mechanisms. The research also studied the problem of text structure between the narrators. Subjectivity and narration; He moved on to study the biographical text stylistically, in terms of his innovation of the third person pronoun, stylistic mutations, and vocal rhythm.

Keywords: *Days, Naturalization, Autobiography, Structuralism, Stylistics.*

مُقَدِّمَةٌ

السَّرْدُ الرِّوَائِيُّ مِنْ أكثرِ الأَجنَاسِ الأَدَبِيَّةِ قُدرَةً عَلَى التَّعْبِيرِ عَن مكنُونَاتِ الإِنْسَانِ ومُعَانَاتِهِ، والتّطرُّقِ إِلَى قَضَايَاهُ ومَدَى اشتِباكِهِ مَعَ الوَاقِعِ أو انعزالِهِ عنهُ؛ ولعلّ مردّ ذلكَ أنَّ السَّارِدَ أَكْثَرَ حُرِّيَّةً في طَرْحِ الأَسئِلَةِ التي تَشْغلُهُ؛ نَظَرًا لِطَبيعَةِ هذا الجِنسِ، وانفتاحِهِ على الأجناسِ الأُخْرَى، ومُرُونَتِهِ في البِنَاءِ وانتِقَاءِ الأَحدَاثِ، وطَرِيقَةِ عَرضِها، وبنائِها الكُروتُوبيّ، ومُستَوياتِ اللُّغَةِ المُناسِبَةِ لمَقَامَاتِ السَّرْدِ، وما يَكْتَنِفهُ مِن وَصفٍ أوْ حِوَارٍ أو تَنَاصَّاتٍ مُخْتَلِفةٍ مِنْ أَجْنَاسٍ مُتبَايِنَةٍ.

يُمكِّنُ هَذَا البِناءُ المَفتُوحُ السَّارِدَ أنْ يُعَالِجَ كَثيرًا مِنَ الإِشْكَالِيَّاتِ الظَّاهِرةِ، والمُضْمَرَةِ، التي تُواجِهُهُ ذاتيًّا على مُستَوياتٍ أيديولوجيَّةٍ، وإبستِمولُوجيَّةٍ، وسيكُولُوجيَّةٍ، وسُوسيُولُوجيَّةٍ، أو تُواجِهُ مُجْتَمَعَهُ؛ سَوَاءٌ أَكَانَتْ دِينِيَّةً أَو سِيَاسِيَّةً أَوْ فِكْرِيَّةً أو اِجْتِمَاعِيَّةً، وما يَترَكّبُ، وَينفَصِلُ، ويتَنَاسَلُ مِن هَذِهِ الانشِغالاتِ؛ فشَكَّلَ هذا البناء الفضفاض ديوانًا حديثًا لقَضَايَا الإِنْسَانِ الفَرِدِ، ومُجْتَمَعِهِ أيضًا؛ مِمَّا حدَا بِهِ أنْ يَكُونَ مَلْجَا للمُتلقِّي المُؤرَّقِ بِهَذِهِ القَضَايَا أنْ يَتتبّعَها عَنْ طَرِيقِ القِراءَةِ وإعادَةِ الإنتَاجِ ؛ ممَّا ألزمَ السَّارِدينَ بضرورَةِ العنايةِ الكبُرَى بهذا الجنسِ الذي طَغَى على الأجنَاسِ الأُخرى عَلَى مُستَوَيي الإبْدَاعِ والتَّلَقِّي.

وَلعَلَّ عَمِيدَ الأَدَبِ العَرَبِيّ طَهَ حُسَيْن مِن أَهَمِّ الرُّوَّادِ الذينَ كَتبُوا في هَذا الجِنسِ على المُستَويينِ: الوَصفيّ والإنشَائيّ؛ فَمَعَ كَوْنِهِ ضَرِيرًا؛ عَاشَ عُمرَهُ أَسيرًا للظَّلَام؛ فقدْ حلَّقَتْ بِهِ بصِيرةُ قلْبِهِ وَقَلَمِهِ إِلَى آفاقٍ بَعِيدَةٍ في الرُّؤْيَةِ والرُّؤْيا الذَّاتِيَّةِ والمُجْتَمَعيَّةِ؛ فَاستَطَاعَ مِن خِلَالِ سُرُودِهِ أنْ يُقدِّمَ شَكْلًا مُخْتلِفًا ومُمَيَّزًا يُبصّرُنَا بِمُعَاناتِهِ، وآلامِهِ، سَارِدًا سِيرتَهُ الذَّاتِيَّةَ، وسِيرَةَ مُجْتَمَعِهِ؛ مَازِجًا بينَ عَالَمَي الرِّيفِ والمَدِينةِ؛ ليُجسّدَ ما يُعانيهِ هُو ومُجْتَمَعُهُ مِن آلامٍ، وما يَبْلغُ بِهِ الطُّمُوحُ مِن آمالٍ، فَجاءَ سَردُهُ مُعَبِّرًا عَنْ أَزْمَةِ الإِنْسَانِ، المِصريّ والعربيّ، الذَّكَرِ والأُنثَى، المُتَعَلِّمِ

والجَاهِلِ، الصَّحِيحِ والمَرِيضِ، الرِّيفِيّ والحَضَرِيّ فِي مُوَاجَهَةِ تحدِيَّاتِ قَرْنٍ جَدِيدٍ مَشْحُونٍ بالصِّرَاعاتِ السِّياسِيَّةِ والفِكرِيَّةِ والدِّينِيَّةِ، والصِّدامَاتِ بينَ البَاحثِينَ عَنِ الحُرِّيَّةِ في مُواجَهَةِ القُوَى الاستِعْمَارِيَّةِ.

ومِنْ ثَمَّ؛ تَوَلَّدَتْ رَغْبَةٌ مُلِحَّةٌ لدَى البَاحِثَةِ في التَّعَرُّفِ إِلَى مَدَى ما وَصَلَ إليهِ طه حُسَيْن في سَرْدِهِ، كانَ سَبَبًا في نُهُوضِهِ بهَذَا الدَّورِ الذي قامَ بهِ في سَبيلِ تَطَوُّرِ السَّرْدِيَّةِ العَرَبِيّة؛ فَجَاءَ هَذَا البَحثُ مُحَاوَلَةً لدِرَاسَةِ القَضَايَا التي أَثَارَها طه حُسَيْن في سَرْدِه، وبخَاصَّةٍ "الأَيَّامُ" بما يَحمِلُهُ نَصُّها مِن خُصُوصِيَّةٍ ورَمْزِيَّةٍ وإرباكٍ تَجنيسيٍّ، يَحتاجُ وقفةً للدَّرْسِ ؛ إذْ إنَّهُ نَصٌّ إشكَالِيٌّ، يَجْمعُ بينَ طِيَّاتِهِ أَجنَاسًا أُخرى؛ كالمَقَالَةِ الوَصْفِيَّةِ، أو الاجتِماعِيَّةِ، والقِصَّةِ، والسِّيرَةِ الذَّاتِيَّةِ؛ ومِنْ هُنَا يُمكِنُنَا القَوْلُ إنَّ السِّيرَةَ الذَّاتِيّةَ بشَكلٍ عَامٍّ عَمليَّةٌ إِخْبَارِيَّةٌ سَرْدِيَّةٌ لبَعضِ التَّفاصِيلِ التي يَنتَقِيها سَارِدُها؛ لِمَا تَحْويهِ منْ أَحداثٍ أَسعَدتْهُ، أوْ كانتْ سَببًا في مُعَانَاتِهِ في قَالَبٍ رِوَائِيٍّ مَفْتُوحٍ.

وعَلَى الرَّغْمِ مِن اختلَافِ سُرُودِ السِّيرِ الذَّاتِيَّةِ باختِلَافِ السِّياقاتِ الحافّةِ بالكِتابةِ؛ التي تُوجِّهُها بحسَبِ ما يتحكّمُ فيها من عوامِلِ الزَّمَانِ والمكَانِ والعَادَاتِ والتَّقاليد؛ فإنَّ ثمَّةَ مُشتَرَكَاتٍ بينَ سَارِدِيها؛ تَتَمَثَّلُ في رغْبَتِهِم في تَقديمِ رُؤيتِهِم لقَضَايَاهُم الذّاتيَّةِ والعامَّةِ في أُسْلُوبٍ أَدَبِيٍّ، يَحْملُ بصمَتَهُم الأُسلُوبيَّةَ الخَاصَّةَ التي تَحفَظُ للنَّصِّ جَمَاليَّاتِهِ، بصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الحُمُولاتِ الثَّقافِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ والاجتِمَاعيَّةِ، التي يُمْكنُهُ التَّحليقُ في فَضَاءَاتِهَا، مِنْ خِلَال استِثْمارِ قُدرَاتِهِ الفَنِّيَّةِ والإبدَاعِيَّةِ، التي تَتَغَيَّرُ بِحَسَبِ حِسِّ المُتَلَقِّينِ؛ فَعَمَدُوا إِلَى تَقْدِيمِ تَجَارِبِهِم الذّاتيَّةِ بوُضُوحٍ ويُسْرٍ وشَحْنٍ إبستمولُوجيّ وسيكولُوجيّ؛ بحَيثُ لا تَخلُو في النِّهَايَةِ مِنَ المُتْعَةِ والإبْدَاعِ.

ولكنْ، يَنْطَوِي نَصُّ السِّيرَةِ في (الأَيَّام)، "عَلَى جُملةِ مُفارَقَاتٍ يتبدَّى فيها جدلُ الفكرِ– التَّجْرِبَةِ، والتَّعاشُق بينَ النَّصِّ والحَيَاة؛ نصُّه(كِتَابَاته) الذى أنتَجَ، وحياتِهِ التي عاشَ، حيثُ ذابَتِ الفُروقُ فى شَخْصيَّةِ ذَاكَ الصَّعِيدِيّ ابنِ العائلةِ الفَقيرةِ، بينَ الشّيخِ طه الأزهريّ، أو طه بِك خريجِ السُّوربون، الفرَانكفُونيِّ الثَّقافةِ، المتفَقّه في ثقافتِهِ

العَرَبِيّةِ الأمّ، إلى حدِّ الإمساكِ بالجذُورِ الغائرةِ فِي أَعماقِ الأَرضِ العَرَبِيَّةِ، موفِّقًا بينَ الأصالةِ والمُعَاصِرةِ: بينَ الإسلامِ عَقيدةً وفِكرًا، خَاصَّةً تَوفيقيَّةَ الإمامِ محمد عَبدُهُ، والمَنهَجِ الدِّيكارْتِيّ، والمَنهَجِ السُّوسيُولُوجِيّ للمُفَكِّرِ الفَرَنسِيّ دُوركايم، دَاعِيًا لصِيَاغَةِ مَنهَجِ الشَّكِّ عندَ الجاحظِ والغزالِيِّ والجُمحِيِّ وابن خُلْدونَ والمَعرِّيِّ ومَرجليوثَ وديكَارتَ"[1]. هَذَا ما دَفَعَ إلى مُحَاولَةِ تَنَاوُلِ كِتَابَاتِهِ، وبخَاصَّةٍ الأَيَّامُ بالتَّحليلِ، وبَيانِ أَهمِّ البِنَى التَّركيبيَّةِ التي احتوَاها نَصُّ الأَيَّامِ، وكذلكُ أتناوَلُ البِنيَةَ اللُّغَويَّةَ التي جَاءَتْ عَلَى قَدْرٍ عَالٍ منْ فَصيحِ اللُّغَةِ، والتَّطرُّقِ إلى أهمِّ النَّواحِي الفَنِّيَّةِ التي تميَّزَتْ بِهَا كِتَابَاتُ طَه حُسَيْن، التي تَبلْورَتْ مِن خِلَالِ نَصِّ الأَيَّامِ، ولمْ تخرجْ عن مجالِ السَّردِ الذَّاتِيّ؛ لِذَا حَاوَلَ البحثُ أن يقدِّمَ وَصفًا لأجزاءِ نَصُّ الأَيَّامِ، إضافَةً إلى تقديمِ رُؤْيَةٍ نَقديَّةٍ لسِيرتِهِ الذَّاتِيّةِ في هذا الكِتَابِ.

- **هَدَفُ الدِّرَاسَةِ**:

يَهدُفُ هَذَا البَحثُ إلى تَنَاوُلِ خَصَائِصِ النَّصِّ السَّرْدِيّ لَدَى طَه حُسَيْن مِن خِلَالِ نَصِّ الأَيَّامِ الذي يُمَثِّلُ سِيرَتَهُ الذَّاتِيَّةَ، والتَّعَرُّف عَلَى مَكَانَةِ طَه حُسَيْن في تاريخِ تَطَوُّرِ السَّرْدِ الرِّوَائِيّ العَرَبِيّ الحَديثِ، مُنتَهِجَةً في ذَلِكَ مُعطياتِ الدَّرْسِ البِنيوِيّ، لدِراسَةِ العَناصِرِ السَّرْدِيَّةِ في بِنيةِ النَّصِّ السِّيرِيِّ، وأَوجهِ تَميُّزِهِ؛ نظرا لأَهَمِّيَّةِ هَذَا النّصّ الرّائِدِ الذي يَستَحِقُّ مَزِيدًا مِن الدِّرَاسَاتِ المُسْتقلَّةِ الوَافِيةِ مَعَ ما يُقدِّمُهُ مِن إِسْهامٍ في نقدِ النَّصِّ و خَصَائِصِ كِتَابتِهِ في مرحلةٍ مهمَّةٍ من مراحِلِ تطوُّر النّصّ السَّرْدِيّ السِّيرِيّ العَرَبِيّ. ومِنْ ثَمَّ نقفُ، هُنَا، إزاءَ النّصِّ الرّوائِيِّ لِطَه حُسَيْن بالدِّرسِ والتَّحليلِ لنَتَعَرَّفَ علَى ما حفّ بهِ من إِشْكَالِيَّةِ التَّجنِيسِ خَاصَّةً، وهَذِه مُجَرَّدُ مُحاوَلةٍ

---

(١) محمد حسين أبو الحسن، تجديد ذكرى طه حسين!، جريدة الأهرام المصرية، الاثنين ٩ من صفر ١٤٤٤ هـ ٥ سبتمبر ٢٠٢٢ السنة ١٤٧ العدد ٤٩٥٨١. على الرابط، https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsQ/868976.aspx

منّي؛ قدْ تُضِيفُ غلى ما سبقَ درْسُهُ في هَذَا الجانبِ مِن آرَاءٍ وكِتَابَاتٍ، مَوضُوعِيَّةٍ بَعِيدًا عَنْ جَفَافِ الدَّرْسِ البَلَاغِيِّ التَّقليدِيّ.

- **إشكَالِيَّةُ الدِّرَاسَةِ**:

تَسْعَى هَذهِ الدِّرَاسَةُ نَحوَ مُنَاقَشةِ كيفيَّةِ الوُصُولِ إلى أوجهِ تميُّز النّصّ السّيريّ الطَّهحسنِيّ؛ لِمَا تَمَيَّزَ بهِ مِنْ تَنوُّعِ تِلْكَ الأَوْجُهِ؛ أَسْهَمَتْ في تَنْصِيبِهِ عَمِيدًا للأَدَبِ العَرَبِيِّ، ومنْ ثَمَّ؛ فمَازالتْ مُقارَبَةُ نَصِّ الأَيَّامِ بالدّرسِ النّقديّ البنيويّ قابلةً لمزيدٍ منَ البَحثِ، لِمَا يَعْنيهِ ذلكَ من ضَرُورَةِ التَّمتُّع بمُعْطَيَاتٍ نَقْدِيَّةٍ متجدّدَةٍ، تمكِّن منَ التَّطرُّقِ لكِتَابَاتِ هذا الرَّائدِ الذي بَزَّ كُلَّ مَنْ عاصَرهُ في بِداياتِ حَركَةِ السَّردِ العربيّ، لاسِيَّما الكِتَابَةُ السَّردِيَّةُ السِّيريّةُ العَرَبيَّةُ، فَضْلًا عَمَّا اتّسَمَ بهِ أُسْلُوبهُ السَّلسُ مِن تَدفُّقٍ لا يُبَارَى؛ مِمَّا زَادَ من صعوبةِ تناولهِ بالنَّقدِ الموضوعيّ المَنهَجِيّ، إضَافةً إلى شَخصيَّتِهِ الفذَّةِ، وثقافتهِ الواسعةِ، مُتعَدِّدةِ الجوانبِ، التي كانَ لَهَا دَورُها، أَيضًا، في صُعُوبَةِ الإحاطَةِ بكلِّ هَذِه الجوانبِ الثَّقَافِيّةِ والأَدَبِيَّةِ والنَّقْدِيَّةِ والقَصَصِيَّةِ؛ كما في نَصِّ الأَيَّامِ خاصَّةً.

- **أَهَمِّيَّةُ الدِّرَاسَةِ**:

تَكمُنُ أَهَمِّيَّةُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ في إبْرَازِ المَكَانَةِ المُميَّزَةِ لِطَه حُسَيْن في مجالِ السّردِ، وأُسْلُوبِهِ الفريدِ في السَّرْدِ السِّيرِيّ خاصَّةً، إضَافةً إلى تَعدُّدِ الرّؤَى الفَنِّيَّةِ المُستخلصَةِ من خِلَالِ الدّرسِ النّقديّ البنيويّ لمُحْتَوَى نَصِّ الأَيَّامِ؛ إذْ شُحنَ هذا النَّصُّ السِّيرِيُّ بأساليبَ فَنِّيَّةٍ متعدِّدةٍ، يُسهِمُ تنَاوُلُها بالبحْثِ والدَّرْسِ إلى إبرازِ مَجهُودِ هذا الكَاتِبِ والنّاقدِ الأديبِ الفذّ، الذي استطاعَ أن يفرضَ نفسَهُ عَلَى السَّاحَةِ الفِكْرِيَّةِ الأَدَبِيَّةِ الثّقافيّةِ ، معَ كلّ ما عاناهُ من إعاقةٍ، كانتْ كفيلةً بالقضَاءِ عَلَى حَياتِهِ الفِكْرِيَّةِ والعِلميَّةِ والإنسَانيَّةِ، إلَّا أنَّهُ اختصَّ بعزيمَةٍ صادقةٍ، وطموحٍ طاغٍ، ورغبَةٍ عارمةٍ في الوُصُولِ إلى قِمَّةِ الأدبِ؛ حتّى اختُصَّ بلَقبِ عَمِيدِ الأدبِ العربيّ عَلَى مَرِّ كُلّ هذهِ

العُقُودِ المُمتدّةِ مِن خَمْسينيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي.

كما تَبرزُ أَهَمِّيَّةُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ في أنَّها تَتَنَاوَلُ تَجْرِبَةَ إِنْسَانٍ انتقلَ من الحارةِ إلى أوسعِ أَبْوَابِ تاريخِ الحَيَاةِ في مَلْحَمةِ صِراعٍ إِنْسَانيٍّ واِجْتِمَاعِيٍّ، جَعلَتْ منهُ رَمزًا إِنْسَانِيًّا عَظيمًا.

- **تَسَاؤُلَاتُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ**:

تَأْتِي هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مُحَاوَلةً للإِجَابةِ عَلَى بَعضِ التَّسَاؤُلَاتِ، التي أثارتْها الرَّغْبَةُ في التَّعَرُّفِ إِلَى أهمِّ السِّماتِ التِي تميَّزَ بها سردُ طه حُسَيْن خَاصَّة في السّردِ السّيريّ للأَيَّامِ، تتمَثّلُ أهمُّ هَذِه التَّسَاؤُلَاتِ فيما يأْتِي:

١- ما حُدُودُ سَرْدِيَّةِ كِتَابَاتِ طَه حُسَيْن، السِّيريَّة خاصَّةً مِنْ خِلَالِ نَصِّ الأَيّامِ؟

٢- كَيْفَ أدّى طه حُسَيْن دَورًا في تطَوُّرِ السّردِ الرِّوَائِيّ العَرَبِيّ الحديثِ؟

٣- لِمَ تميَّزَ أُسْلُوبُ طه حُسَيْن في سردِهِ الرِّوَائِيّ، والسّيريّ، خاصَّةً في الأَيَّامِ؟

٤- ما الخَصَائِصُ البنيويّةُ والأُسْلُوبيَّةُ في سَرْدِ كِتَابِ الأيّامِ؟

- **منهج هَذِهِ الدِّرَاسَةِ**:

يَعتَمدُ منهجُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ النَّقديّ علَى مُعطياتِ المَنهجِ البنيويّ، مع الاستِعانَةِ ببَعضِ آليّاتِ الدَّرْسِ الأُسلُوبِيّ؛ نظرًا لما يمثّلهُ أُسلوبُ طه حُسَيْن من بَصْمةٍ خاصَّةٍ في السّردِ القَصَصِيّ، مع حاجتِنَا المُلحَّةِ إلى مَعْرِفَةِ أهمِّ الزَّوايا النَّظَرِيَّةِ، والتَّطْبِيقِيَّةِ التي اتَّخذها في كِتَابَاتِهِ السّيريّةِ، وبخَاصَّةٍ نصُّ الأَيَّامِ، الذي تُمثّلُ إشكاليَّةً تجنيسيَّةً؛ مِنْ حَيثُ الشَّكْلُ والانسِجامُ ودورُهُما في تَطوُّرِ السَّردِ العَرَبِيّ وفنِّ السِّيرَةِ الذَّاتِيَّةِ، لتقَدِيمِ نظرةٍ منهجيَّةٍ مَوضُوعِيَّةٍ لِمَا شَهدَهُ السَّردُ العربيُّ مِن طَفرةٍ في تَطَوُّرِهِ وَمِصْداقيَّتِهِ، وقُدرَتِهِ عَلَى تَوظِيفِ أَدَوَاتِهِ الخَاصَّةِ التي شَكَّلتْ مَشْرُوعًا أَدَبِيًّا فَرِيدًا.

- **تَمْهِيدٌ (طه حُسَيْن: السَّارِدُ والمَسْرُودُ)**

تُعَدُّ الكتابةُ عَن طه حُسين من أَصْعبِ الكِتاباتِ؛ فما أَصعبَ أن يكتبَ الباحثُ عن علمٍ من الأعلامِ، بل هو عَلَمُ الأعلامِ في الأَدبِ العربيِّ وعميدُهم في القرْنِ العِشرينَ، ومن ثُمّ؛ فَيُمكِنُنِي، هُنا، أَنْ أَعْرضَ لِسيرَتِهِ، وما يتَّصِلُ بسَردِ الأيَّامِ خَاصَّةً؛ حيثُ يحتوِي التّمهيدُ سِيرةَ السَّاردِ والمَسْرُودِ؛ فيَصِيرُ جُزءًا لا يتَجَزَّأُ من بنيةِ الدّراسةِ، وليسَ مجرَّدَ توطئةٍ لما سَيأتِي في بنيتِهَا العامَّةِ والتَّفصِيليَّةِ.

انْطِلَاقًا مِن مفهُومِ المَرَايا المُتَجاوِرَةِ الذي انتهَجَهُ النَّاقدُ جابر عُصفور في دِراسَةِ إنتاجِ طه حُسَين الأَدَبيّ كُلّهِ؛ بوَصفِهِ مِرآةً لسِيرتِهِ الشَّخْصِيَّةِ والفكرِيَّةِ؛ فكلُّ نصٍّ لديهِ هُو" عِلَّةٌ لمعلُولٍ سَابقٍ في الوجُودِ، وصُورةٌ لأصْلٍ قبلِيٍّ يوازيهِ؛ ومعنى ذلكَ أنَّ العَملَ الأدبيَّ لا يتَشكَّلُ من فرَاغٍ، بل يَنشَأُ عَن حاجةٍ فَرديَّةٍ واجتِماعيَّةٍ"(١).

- **١/٠- مَولدُ السّاردِ ونَشأَتُهُ:**

وُلِدَ طه حُسَيْن عَلِيّ سَلَامَة في الرَّابعَ عَشَرَ من نُوفَمبِر سَنَةَ ١٨٨٩م فَقِيرًا ضَعِيفًا نَحِيلًا، لا يَختَلِفُ كَثيرًا عنْ مِئاتِ الآلافِ منَ الفلَّاحينَ وقْتَئذٍ، سِوَى باسِمهِ وعَاهَتِهِ التي طَرَأَتْ عليهِ نَتِيجَةَ الجَهْلِ والفَقرِ والمرَضِ، وأنَّهُ أَصبَحَ بَعدَ ما لا يَزيدُ عنْ عَقدينِ أَحدَ أهمّ الوجوهِ الثّقافيَّةِ البارِزةِ؛ وَشغَل الحَيَاةَ الفكريَّةَ والسِّياسيَّةَ والعِلْميَّةَ حَتَّى احتَلَّ فِيهَا أَعَزَّ مكانٍ ومازالَ(٢) وقد جَاءَتِ السَّنَوَاتُ الأُولَى حتَّى الثَّالِثَةَ عَشرةَ مِن عُمرِهِ موصُوفَةً بدقَّةً في الجُزْءِ الأَوَّلِ من كِتَابِهِ "الأَيَّام"، وهيَ السَّنواتُ التي كانتْ ذاتَ تَأثيرٍ عَميقٍ في حياتِهِ، وبخاصَّةٍ أنَّه أصِيبَ بالعَمَى في السَّادِسَةِ مِن عُمرِهِ نَتيجَةَ

---

(١) جابر عصفور، المرايا المتجاورة (دراسات في نقد طه حسين)،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م،٢٣.

(٢) يراجع، فؤاد دوارة، أيام طه حسين، القاهرة، كتاب أخبار اليوم،١٩٩٠م،٩.

الرَّمَدِ الصّدِيديّ[١]؛ ليَصيرَ بصِيرًا، ويُحوِّلَ المِحْنةَ إلى مِنْحةٍ؛ فيُحقّقَ مُعْجزَتَهُ مِنْ عَجْزِهِ[٢].

كانَ ميلادُهُ في عزبةِ الكيلو بمغاغةَ بمحافظةِ المنيا بالصَّعيدِ الأوسَطِ، سابعًا بينَ ثلاثةَ عَشرَ وَلدًا وبنتًا لمُوظَّفٍ صَغِيرٍ فِي شَركةِ السُّكَّر[٣]؛ وظَلَّ يَعمَلُ بها حتَّى سَنَةِ ١٩٣٢م، ثمَّ عَادَ إلى المِنيا، وتُوفِّي بها سنة ١٩٤٢م، وتوفّيتْ والدتهُ سنةَ ١٩٥١م [٤].

كَوَّنَتْهُ هذِهِ التَّنشِئَةُ الاجتِمَاعِيَّةُ في الطَّبقةِ الوُسطَى الأَقْرَبِ للفَقيرَةِ، والأَبعَدِ عَنِ النُّخبَةِ؛ فَجَعلَتْ مِنهُ صَاحِبَ رِسالةٍ اجتماعيَّةٍ وسِياسِيَّةٍ ودِينيَّةٍ وتَنويريَّةٍ، ومؤمنًا بأهميَّةِ الكِفاحِ واقتِحامِ العَقَبَاتِ للوُصُولِ إلَى الأَهْدَافِ، التِي تَتَحوَّلُ إلَى مُرتَكزَاتٍ، سُرعَانَ ما يَؤُولُ المُتَحقِّقُ مِنهَا إلَى مَزِيدٍ مِن نِقَاطِ الانطِلَاقِ إلَى ما هُو أَبعَدُ وأَكثرُ طُمُوحًا[٥].

- ٢/٠- البِيئَةُ القَرَوِيَّةُ وتَشْكِيلُ السَّارِدِ:

وَصَفَ السّاردُ سَنَواتِهِ الأُولَى بدِقَّةٍ في نَصِّ الأَيَّامِ مُنذُ قصَّةِ السِّياجِ الذي حاصَرهُ وحاولَ اقتحامَهُ ليرَى العالمَ وراءَهُ معَ نَسماتِ الفَجرِ؛ فحمَلَ كلّ أبعادِ

(١) يراجع، أحمد سويلم، عباقرة الإرادة والصَّبر، القاهرة، دلتا للنشر والتوزيع،٢٠١٥م،٢٨.
(٢) يراجع، محمد صادق الكاشف، طه حسين بصيرا، القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٨٧م،٧٤.
(٣) يُرَاجَعُ، ثروت أباظة، شعاع من طه حسين، القاهرة، روز اليوسف،١٩٧٤م، ٩٣، ٩٤.
(٤) السابق، ٩٦.
(٥) يراجع، تيتز رووكي، في طفولتي(دراسة في السيرة الذاتية العربية)، ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة،المركز القومي للترجمة،٢٠٠٩م،١٦٣.

الكرونوتوب الأُولى التي كوّنتْ هذا السّاردَ الطَّامحَ المقتحِمَ[١] وقد تتبَّعَ تفاصِيلَ سنَواتِهِ الأُولى حتَّى الثَّالِثةَ عشرةَ بدقّةٍ من مَطلَعِ الفَصْلِ الثَّالِثِ منَ الجُزْءِ الأوَّلِ، الذي تناولَ فيهِ أُسرَتَهُ، وموقعَهُ منها، ومكانتَه بينَهم، وتأثيرها فيهِ[٢]، وحِيرتَهُ بين كَونِها مُرْضِيَةً أمْ مُؤذِيَةً؟ كمَا وَصفَ حَياةَ القريةِ منذُ اعتقادِهِ بِأنَّ نِهايةَ الدُّنيَا عِندَ نِهايَةِ القَناةِ عَن يَمِينِهِ عَلَى بُعدِ خُطُواتٍ مَعْدُودَةٍ[٣]؛ مِمَّا نَشَّأَهُ عَلَى مُصَاحَبَةِ خيَالِهِ طِوَالَ طُفُولتِهِ، مَعَ التَّأَثُّرِ الشَّديدِ بِالمَورُوثِ الشَّعْبِيّ من سَمَاعِ المَوَاوِيلِ خَلفَ السِّياجِ، وأَثارَ وَلعَهُ بالأَساطِيرِ والأَوهامِ والخَوفِ مِمَّا تُخْفيهِ القَناةُ[٤].

- **٠/٣- البيئةُ الثَّقافيَّةُ وتَكوينُ النَّصِّ**:

كان لِكُتَّابِ القَريَةِ، وشيخِهِ، وعَرّيفِهِ دورٌ بارزٌ في تَكْوِينِهِ الأدَبِيّ؛ إذْ تعلَّم اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ ومَبَادِئَ الحِسابِ، وتلَاوةَ القرآنِ الكَريمِ وحِفْظَهُ، قبل التَّاسِعةِ، كَما وَعَى منَ الأَغَانِي والمَواوِيلِ التي تَسردُ حِكَاياتِ الهِلَاليّينَ والزَّناتيّينَ، فَضْلًا عنِ الأورَادِ والأَدعِيَةِ، والأناشِيدِ الصُّوفِيَّةِ؛ مِمَّا ميَّزَهُ بعَبقريَّةٍ خاصَّةٍ في إعادةِ بناءِ العالَمِ؛ كمَا يتخَيَّلُهُ ويَرْتَضِيهِ[٥].

رَحلَ إلى القَاهِرَةِ سنةَ ١٩٠٢م للدِّرَاسَةِ بالأزهرِ الشَّريفِ، وَسُرعانَ ما بدأ ينْصرِفُ عَنْ دُرُوسِهِ إلى الدِّراسَاتِ الأَدَبِيَّةِ بتَوجيهٍ منْ أُستَاذِهِ سيد المرصفيّ الذي

---

(١) يراجع، عبدالرشيد محمودي، طه حسين بين السياج والمرايا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٥م، ١٨-١٩.

(٢) يراجع، طه حسين، طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ، طبعة مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣م،١/٢١.

(٣) يراجع، السَّابقُ، ١/١٠، وما بعدها

(٤) يراجع، السَّابقُ نفسُهُ، الصفحةُ نفسُها.

(٥) يراجع، سهير القلماوي، السيرة الذاتية (الأيام)، مقال من كتاب :"طه حسين مائة عام من النهوض العربي(في الذكرى المئوية لمولده)، القاهرة، فكر للنشر والتوزيع،١٩٨٩م،٣٠١.

مكَّنَـهُ مـن مَعْرِفَـة أئمـةِ الأَدَبِ القُـدامَى والاطّـلَاعِ عَلَـى بَعـضِ مَفَـاهيمِ النَّقْـدِ وأدواتِـهِ، وبخاصَّةٍ أنَّهُ قدْ نَشَأَتْ بينهُما صَدَاقةٌ كَانَ لَهَا أَبْلغُ الأَثرِ وأَعْمقُهُ؛ فقدْ نـهلَ التّلميذُ مِن مَعِينِ أُستَاذِهِ بغَيرِ حِسَابٍ(١).

وبَعدَ سَفرِهِ إلَى فَرنسَا انطلقَ في سَمَاءِ الفِكْرِ، مُحَلِّقًا فـي فَضَـاءِ العِلْمِ، بَعدَ أَنْ حَدَّدَ الأُطُرَ الثَّقَافِيَّةَ التي يَجِبُ عليهِ السَّيرُ فيها؛ فَقَارَنَ بينَ نشْأتهِ الثقافيَّـةِ والفِكريَّـةِ والعِلْميَّةِ في الأَزهَرِ ومَدَارِسِ فَرنْسَا؛ فَأَقَرَّ بأَنَّهُ مَدِينٌ لِطَرِيقةِ التَّعْلِيمِ في الأَزهرِ، وأنَّ ما خَاضَهُ من نِقَاشٍ، وجِدَالٍ بين القَدِيمِ والحَديثِ هُو ما شَكَّلَ عَقليَّتَهُ النَّقديَّةَ الجَدليَّةَ(٢).

كَما عَزَّزتْ لَديهِ المَنحَى الرُّوحيَّ والنَّهمَ العِلميَّ الذي لايرتَوِي، ولايَقفُ عندَ حدٍّ، واستِنْكَارَ الجَهلِ، والإيمَـانَ بـالتَّغيُّرِ السَّرِيعِ، وفهْمَ الفَوارقِ بينَ كُلِّ مـا هُوَ تَقلِيـديٌّ مَورُوثٌ، وما هُو حداثِيٌّ مُختلفٌ(٣).

- ٤/٠- **نهَايةُ صَاحِبِ السِّيرَةِ**:

تُوفِّيَ صَاحِبُ السِّيرَةِ فـي الثَّامن والعشرينَ من أكتوبر عام 1973م، فـي اليوم الذي أُعلنَ فيـهِ وقفُ إطلاقِ النَّار بين مِصْرَ وإسرائيلَ، وإعلان انتصار مِصْرَ في الحرب تاركًا خلفه إرثًا فِكْرِيًّا وأَدَبِيًّا، تَمثَّل فـي كتبـهِ ومقالاتـهِ وسيرتهِ المترجمـةِ عن ثقافته(٤)؛ بوصفهِ كَاتِبًا نادرًا، لا يتكرَّرُ، ولعلَّ من حسن الطالع أن يترك لنا وصفًا دقيقًا لرحلتهِ من خلالِ نَصِّ "الأَيَّام" الذي هو مدارُ البحثِ.

---

(١) يراجع، صبري حافظ، طه حسين الإنسان والمشروع، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،٢٠٢٣م،٢٣١.

(٢) يراجع، إبراهيم عبدالعزيز، أوراق مجهولة للدكتور طه حسين، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٧م،١١٠-١١١.

(٣) يراجع، تيتز رووكي، في طفولتي(دراسة في السيرة الذاتية العربية)،١٦٢.

(٤) يراجع، محمد حسن الزيات، ما بعد الأيام، القاهرة، دار الهلال،(د.ت)،٢١٩.

١- سَارِدُ السِّيرَةِ أَدِيباً:

١/١- دَوَافِعُ السَّارِدِ لِسَرْدِ السِّيرَةِ:

لَمْ يَكشِفْ طه حُسَيْن عن أَسبَابِ كِتَابَةِ سِيرَتِه، ولكِنْ يُمكِنُ أنْ نَجِدَ في الكَلِمَةِ التي وجَّهَهَا لِلمَكْفُوفِينَ، سَبَبًا وِاعْتِرَافًا صَرِيحًا منه بالمغزَى من كِتَابةِ الأَيَّامِ، وأثر ذلِكَ عَلَى حيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ؛ إذ كان هَذَا النصُّ في البدايةِ حَدِيثًا خافتًا، تتكلَّم بِهِ الذَّاتُ لنفسِها، ثمَّ سُرعَانَ ما تحوَّلَ إلَى حَدِيثٍ مَسْمُوعٍ، يَتَجاوزُ هَذَا النِّطَاقَ الضَّيِّقَ للنَّفسِ إلى نظيراتِها من الذَّواتِ الأُخرى التي تَستمعُ إليها ولا تُنكرُها، وتَجدُ فيه صَدًى لما عرفتْهُ وعاشتْهُ، فيقولُ ما يَدلُّ عَلَى أنَّه يَعترِفُ بالسَّبَبِ الحَقِيقِيِّ الذي دَفَعَهُ لكِتَابةِ أيَّامِهِ، وهُو مُشاركةُ المَكْفُوفينَ آلَامَهم ومعاناتِهم فيقولُ: "ولسْتُ أَدرِي: لِمَاذا رَجعْتُ ذاتَ يومٍ إلى ذِكرياتِ الصّبا أتحدَّثُ بهَا إلَى نفسِي لأنسَى بهَذَا الحدِيثِ أثقالَ الشَّبابِ، ثمَّ لم أكتفِ بالتَّحدُّثِ إلَى نَفسِي فيمَا بَينِي وبَينَها وإنَّما تحدَّثتُ إليهَا حَدِيثًا مَسْمُوعًا، فأمليتُ هَذَا الكَلَامَ عَلَى صَاحبِي في رحلةٍ من رحلاتِ الصَّيفِ، ثمَّ ألقيتُهُ جانبًا ونسيتُهُ أو كِدْتُ أَنسَاهُ، ثُمَّ طَلبتْ إليَّ مِجلةُ الهِلَالِ في عَهدِها المَاضِي طَائفَةً مِنَ الأَحَادِيثِ وألحَّتْ في الطَّلبِ، حتَّى لمْ أجدْ بُدًّا إلَى إجابَتِها، ولَمْ أَكُنْ أمتَلِكُ الوَقتَ الذي يُتيحُ لي أنْ أكتُبَ إليهَا الأَحَادِيثَ التي أَرادَتْنِي عَلَيهَا فَعَرضْتُ هَذَا الكَلَامَ عَلَى بَعضِ الصَّدِيقِ لِيَقرَأَهَا، وأشَارَ عليَّ بأَلَّا ألقيَ إليهِ بالًا؛ فاعتذرْتُ إلَى "الهِلَالِ" ولَكنَّها أبَتْ إلَّا الإلحاحَ؛ فدفَعْتُ إليهَا هَذَا الكَلَامَ عَلَى كُرهٍ مِنِّي، وقدْ نشرتُهُ فَرَضِيَ عَنْهُ بَعْضَ النَّاسِ، ثمَّ جَمَعَهُ بعضُ الأَصْدِقَاءِ في سَفرٍ وَاحِدٍ"(١).

كمَا أنَّهُ أردَفَ أَسبابًا أُخرَى دَفعتْهُ إلَى تدوينِ تِلْكَ السِّيرَةِ، ورصدِ أيَّامِهِ، وأنَّهُ لمْ يرتّبْ كِتَابةَ تِلْكَ القِصَّةِ، إنَّما دَفعَهُ إلَى ذلكَ أَسبابٌ أُخرَى، حاولَ بكِتَابةِ تِلْكَ الأَيَّامِ أنْ

(١) كَلِمَة المؤلف، كتاب الأَيَّام، القاهرة مؤسسة الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢م، ٧ – ٨

يَبتَعِدَ عَن ضَجِيجِهَا؛ فَيقُولُ: "لمْ أدبِّر تأليفَهُ ولمْ أفكِّرْ فيهِ، وإنَّما دُفِعْتُ إليهِ دَفعًا، دَفعَتنِي إليهِ الظُّرُوفُ القَاسِيَةُ، ضِقتُ فيهَا بالحَيَاةِ في مصرَ؛ فضَاقَتْ بِي الحَيَاةُ في مصرَ. كانَ ذلكَ حينَ صَدَرَ كِتَابُ "في الشِّعْرِ الجَاهِلِيّ" وأثارَ الأزمَةَ التي أثارَها، فتركتُها لأقضيَ الصَّيفَ في فَرنسا... ومَعَ ذلكَ عندما وصلتُ إلى فرنسا لم أستطعْ أن أفرَّ من هَذِه الظُّرُوفِ، ولا من الوَاقِعِ الذي كانَ يُحيطُ بِي فقد كانَ الضِّيقُ بالنَّاسِ وبالحَيَاةِ التي يحيونَها وبحياتِي بينَهم يُلازِمُنِي دائِمًا، فلمْ أَرَ إلَّا وَسِيلَةً واحِدةً للهَربِ من هَذَا الضِّيقِ وهي أنْ أفرَّ منَ الحَاضِرِ إلى المَاضِي، وللفرارِ من الحَاضِرِ إلى المَاضِي أمليتُ هَذَا الكِتَابَ ... جعلتُ أُمليهِ كلَّ يومٍ، وأمليتهُ لا أُملِي كِتَابًا، ولكنْ لأفرَّ مِن ظروفٍ مضنيةٍ ثقيلةٍ، وقدِ اكتملَ هَذَا الكِتَابُ في أُسْبُوعٍ أو أقلَّ من أُسْبُوعٍ" ...[1].

١/٢- بينَ نَصِّ السِّيرَةِ وإنتاجِهِ وشَخْصِيَّتِه:

لَعَلَّ السُّؤالَ الأول الذي يواجِهُ الباحثةَ هنا؛ كما واجهَ مَن سبَقَهَا هُو: كيفَ قسَّم طه حُسَيْن كِتَابَهُ، وما الذي دَفعَهُ إلى هَذَا التَّقسِيمِ؟

نُشرَ نَصُّ الأَيَّامِ عام ١٩٢٩، واشتهرَ شُهرةً واسِعةً؛ إذِ استرجَعَ السَّارِدُ سِيرتَهُ الذَّاتِيّةَ وحَياتَهُ الشَّخْصِيَّةَ وعَلَاقاتِهِ مَعَ أَصدِقائِهِ، وأَشارَ إلى آفَةِ العَمَى التي أَصَابَتْهُ، واستِعَانتهِ الدَّائمَةِ بغيرِهِ؛ كخَادِمِهِ الأَسودِ الذي رَافَقَهُ في كُلِّ حرَكاتِهِ وسَكنَاتِهِ.

---

(١) جليلة خويطر: مقومات السِّيرَة الذَّاتِيّة في الأدب العَرَبِيّ الحديث(بحث في المرجعيات)،مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٤م، ٣٤٩..

١/٢/١- إنتاجهُ الأَدَبِيُّ بينَ السّيريّ والواقعيّ:

أحاولُ بدايةً سردَ إنتاجهِ الأدبيّ في الفترةِ التي كتبَ خلالَها نصَّ الأيَّامِ بأجزائهِ الثَّلاثة تعدَّد الإنتاجُ الأَدَبِيّ لعَمِيدِ الأدب العَرَبِيّ طه حسين، وتنوَّعَ تنوعًا كبيرًا، وتمثَّل هَذَا الإنتاجُ فيما يأتِي، بغير ترتيب زمنيّ:

في الشِّعْرِ الجَاهِلِيّ،١٩٢٦م، والأَيَّامِ ١٩٢٩م، ومُستقْبَل الثَّقافَة في مِصْر ١٩٣٨م، دُعاَء الكَرَوان،١٩٦٠م، وأَدِيب ١٩٣٩م، وطفولة مِصْرِيَّة،١٩٣٢م، وشجرة البؤس ١٩٤٤م، ومع أبي العلَاء المَعرِّيّ في سجنهِ، والفتنة الكُبْرَى (علي وبنوه)، ١٩٥٣م، والمعذَّبون في والأرض ١٩٤٩م، وعَلَى هامشِ السِّيرَةِ، ١٩٣٣م، وحديث الأربعاءِ ١٩٢٢م، والشَّيخان، وجنة الشَّوك ١٩٤٥م، وقادة الفِكر والقَصر المَسحُور،١٩٣٦م، وما وراء النَّهرِ، والوَعد الحقِّ ١٩٤٩م، ومِرْآة الإسلَامِ ١٩٦٦م، والفِتنة الكُبْرَى(عثمان) ١٩٥٢م، أحلام شهرزاد، ١٩٤٣م، ومن حديثِ الشِّعْرِ والنَّثرِ، وغرابيل، وتجديد ذِكرَى أبي العلَاء ١٩٦٣م، ومن بعيدٍ، والحُب الضَّائع ١٩٤٣م، وجَنَّة الحيَوَانِ ١٩٥٠م، ومعَ المُتنبّي ١٩٣٦م، ومنَ الشَّاطئ الآخَر،١٩٩٧م، والفُصُول والغَايات، وأَحَادِيث، وخِصَامٌ ونَقْدٌ، وفُصُول في الأدبِ والنَّقدِ، والكِتَابَات الأُولى، وعَلَى هامشِ السِّيرَةِ، وحديث الأربعاءِ الجُزْء الثَّانِي، والجُزء الثَّالث[1]، وهَكذَا ظلَّ إنتاجُهُ مُتتَابِعًا أكثر من نصف قرنٍ، وجاءَ نصُّ الأيَّامِ مرآةً لهُ.

٢/٣- الحكايةُ السَّرديَّةُ لنصّ الأَيَّامِ بينَ الذَّاتيّ والموضوعيّ:

أَحرَى بالبَحثِ قبلَ أنْ يتَطرَّقَ البَحثُ إلَى البنيةِ السَّرديَّةِ لنَصِّ الأيَّامِ، ويفتّشُ عن السِّماتِ البارزةِ التي شكّلتهُ وكوّنتْهُ، وكيفَ استطَاعَ من أن يبرزَ الحدثَ

(١) يسري حسن، طه حسين ، عَمِيد الأدب العربي، مجلة الموقف الأدبي، لمجلد/العدد، مج٤٧ ،ع٥٧٠، أكتوبر ٢٠١٨م، ٧٤.

والشَّخْصِيَّةَ والزَّمَانَ والمكانَ من خِلَال طريقتهِ في السَّرْدِ والحكْي، أن يعرضَ للحكايَةِ. ولعَلّي أُبادرُ بأنَّ السّاردَ كانَ سَابقًا لعَصْرِه، مُغايرًا لأَقرانِهِ منَ الأُدَباءِ في الفِكرِ والطَّرِيقَةِ، ففِي حينِ كانَ الجَميعُ غارِقًا في إشكَاليَّةِ التَّقليدِ والتَّجْدِيدِ، كان مُتحرِّرًا من ربقِ تِلْكَ الإشكاليَّةِ الإثنيَّةِ؛ فقدْ أخضَعَ النَّصَّ والسَّرْدَ لإرادتهِ، ولم يَخضعْ لهُما؛ فتحَرَّرَ منَ القيُودِ التي تكبِّلُ الإبداعَ، وأرادَ من خِلَال نصِّ الأَيَّامِ أن يوثِّقَ حيَاتَهُ المَاضِيةَ، وأن يخرجَها من غيهبِ النِّسْيانِ إلى عالمِ المَعْرِفَةِ، أرادَ أَن يُثبتَ وُجُودَهُ من خِلَالِ اجترارِ ذكرياتِهِ، والبحثِ في المَاضِي، أرادَ أن يثبتَ أنَّهُ لا مُستَحِيلَ لمَنْ أَرادَ أن يَتغلَّبَ عَلَى ما عاناهُ، وما صَادفَهُ في مَسِيرتِهِ منَ القَريةِ إلى فَرنْسَا، منَ الكُتَّابِ إلى عِمادَةِ الأَدَب.

أَرَادَ أَنْ يُبيِّنَ أنَّهُ ظَلَّ قَادِرًا عَلَى تَرتيبِ أَفكَارِهِ في مُوَاجَهَةِ الحَاضِرِ، مُواكبًا سِيرتَهُ مِن مِنْظَارٍ شَخصِيٍّ؛ فَتحدَّثَ عن نفسهِ والآخرينَ من بابٍ يُلازِمُ نقلَ المَعلُومةِ وتوثيقِها، فهُو يَسعَى كي يكونَ وَاضِحًا مُوغِلًا في الذَّاتِيَّةِ، فالفُرْصَةُ مُواتيَةٌ كي يُجذِّرَ حَياتَهُ ويشَّخِصُها للآخَرِ مِن مِنْظَارٍ، يُواكبُ التَجْرِبَةَ وفواصِلَ الحَيَاةِ، وَيؤكِّدُ اِرْتِبَاطَهُ بتِلْكَ المقوّماتِ التي تلتصِقُ بالشَّخْصِيَّةِ، التي تصنعُ الهالةَ والحِكَايَةَ الذَّاتِيَّةَ عبرَ تنوُّعٍ فِكْرِيٍّ مُمَيَّزٍ.

٢/٣/١- بَينَ الأَزهرِ والجَامِعَة:

مثَّلَ انتقالُ طه حُسين مِنَ الأَزهرِ إلَى الجَامِعةِ نقطةَ انطلاقٍ جوهريَّةٍ " كانتْ مرحلةَ انتقالٍ ذاتِ أَثرٍ كَبيرٍ في حياتهِ؛ فقد انتظمَ في دروسِها، وأَقبلَ يتلقَّى عُلُومَ العَصرِ، ومَعارفَهُ على مناهجَ وأساليبَ لم يَعْهدْها في دِرَاسَتهِ بالأزْهَرِ"[1]؛ فمنذُ أن

(١) عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، طه حسين والجامعة المصرية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨١م،٧.

خرَجَ من قريتِهِ، ووصَلَ إلى القَاهِرَةِ ليدرسَ في الأزهرِ سنةَ ١٩٠٢م تغيَّرتْ حياتُهُ؛ فتَجَاوزَ حَيَاةَ القريةِ التي عَهِدَها وتمرَّدَ عليها، فعَلَى الرَّغْمِ مِن أنَّه قضَى في الأزهرِ طالبًا أربعةَ أعوامٍ، فإنَّهُ درسَ فيهِ وفي غيرِهِ من المَساجِدِ، فَعكفَ عَلَى دراسَةِ العلومِ الدِّينيَّةِ واللُّغويَّةِ، ولَزِمَ الشَّيخ سيّد المَرصفيّ في درسِ الأدبِ، فأعجبَ بهِ كثيرًا ودروسَ عليهِ الكاملَ للمبرِّدِ، والحَماسةَ لأبي تمَّام، والأَماليَ لأبي عليّ القاليّ وغيرها[١]، كما أمعنَ في الفقهِ والنَّحْو والمنطقِ والبلاغةِ والعروضِ وفي علوم النَّحو والصَّرف، إلَّا أنَّ دُخولَهُ في حِوَارٍ عِلْمِيٍّ تجديدِيٍّ معَ شُيوخِهِ، جَعَلَهُم ينفرُونَ من جدلِهِ ومناظراتِهِ، وكانَ ذلكَ سَببًا في إخفاقِهِ، وعدمِ حُصولِهِ عَلَى الشَّهادةِ العالميَّةِ من الأَزهَرِ[٢]. فتركَ الأزهرَ واتَّجَهَ إلى الجامعةِ المِصْرِيَّةِ.

٢/٣/٢- أَثَرُ الجَامعَةِ في سِيرَتِه:

لمْ يَستَمِرّ طه حُسَيْن بالأزهرِ، رَغبةً منه أو رَغمًا عنهُ، فقدْ وجدَ في الجامِعةِ المِصْرِيَّةِ التي أُنْشِئتْ حَدِيثًا، وقتَها، فَضاءً رحبًا لتوسيعِ دائرةِ ثقافتهِ وإشباعِ طموحهِ، فاتَّصلَ بالكثيرِ من الأساتذةِ بها؛ كلطفي السَّيّد، ممَّا يسَّرَ لهُ الطَّريقَ، وفتحتْ له أَبْوَابٌ جَدِيدَةٌ في العِلمِ والمَعْرِفَةِ[٣].

وانطَلَقَ طه حُسَيْن في تِلْكَ الفترةِ في مجالِ الأدبِ، فاتّصَلَ بالشَّيخ عبد العزيز جاويش؛ فأَكثرَ الاختلافَ إليهِ والاستماعَ لهُ. بل أخذَ يجرِّبُ قلمهُ البصيرَ في الكِتَابَةِ، كما جرَّبَ لِسَانَهُ في الشِّعْرِ بينَ يدَي أُستاذهِ المَرصفيّ. ولم يكَدْ الفتَى يأخذُ في كلّ ذلك حتَّى عُرفَ بينهُم بطُولِ لسَانِهِ وإقدامِهِ عَلَى أَلوانٍ منَ النَّقدِ، قلَّما كان الشَّبابُ

(١) يراجع، طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،٢/ ٧٧-٧٨.

(٢) يراجع، السَّابقُ، ٢/١٢٩-١٣٠.

(٣) يراجع، عبدالمنعم الجميعي، طه حسين والجامعة المصرية،١١-١٣.

يقدمونَ عليها آنئذٍ[1]، كما كانَ تأثرُهُ بشَخصيَّةِ أبي العلَاء المَعَرِّيّ أَعمَقَ تأْثيرًا، واستيقنَ بأنَّ حَيَاةَ أبي العلاءِ هيَ الحَيَاةُ التي لا بدَّ علَيهِ أنْ يَعيشَها، فقال: "إنَّ حَيَاةَ أبي العلاءِ تِلْكَ هيَ الحَيَاة التي يَجبُ عليه أنْ يَحيَاها ما استَطاعَ إلى ذلكَ سَبيلًا[2].

٢/٣/٣- معاركهُ الفِكْرِيَّةُ:

خاضَ طه حُسَيْن معاركَ أَدَبِيَّةً وفكريَّة وثقافيّةً ودينيَّةً عدَّةً مَعَ مصطفى لطفي المنفلوطيّ، وعبَّاس محمود العقَّاد، ومُصطفَى صَادِق الرَّافعيّ وغيرهم، فمَعاركُ طه حُسَيْن الأَدَبِيَّةُ بمثابةِ تاريخٍ حافلٍ بالحرَكاتِ والتَّحْدِيَاتِ.

ويُعطينَا نصُّ الأَيَّام صُورةً وَاضِحَةً عن صِراعهِ معَ الألمِ، إذ يلخِّصُ لنا سيرةَ إنْسَانٍ تَغلَّبَ عَلَى العَقَباتِ في ذَاتهِ، وانتصَرَ علَيها، وجاهدَ مع الظُّرُوفِ المُعوّقةِ من حَولهِ، وانتصَرَ عليها، وعَلِمَ أنَّ الظُّرُوفَ يُمكِنُ أنْ تتَغيَّرَ لصَالِحِ الإنْسَانِ بالعَملِ، والاجتِهادِ والصِّدْقِ معَ النَّفسِ.

ولا شَكَّ أنَّ طه حُسَيْن منْ أهمِّ المفكِّرينَ العربِ في القرنِ العشرينَ، وتعودُ أهميَّتهُ إلى أدوَارِهِ الجذريَّةِ المُتعدِّدةِ في مُختَلفِ المَجالاتِ التي أسهمَتْ في نقلِ الإنْسَانِ العَرَبِيّ من الظُّلْمِ إلى العدَالةِ، ومن العُبوديَّةِ إلى الحُرِّيَّةِ، ومن ثقافةِ الظَّلَامِ إلى التَّنوير، ومنَ التَّخَلُّفِ إلى التَّقدُّمِ؛ فلم يُهدرْ حَياتَهُ يتأَفَّفُ، ويندبُ حظَّهُ العاثرَ؛ لأنَّهُ "كان يعرفُ نفسَهُ حينَ يشقَى في سبيلِ ما يرَى أنَّهُ الحَقُّ، ويُنكرُها أشدَّ الإنكارِ، بل يبغضُها أشدَّ البغضِ، إذا نعِمَ بالخفْضِ واللِّينِ؛ لأنَّهُ صَانَعَ أَو جهرَ بغيرِ ما يُسِرُّ، أو آثر رِضَا السُّلْطانِ عَلَى رضَا الضَّمِيرِ" [3].

---

(١) يراجع، طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،١/٣٩-٤٥.

(٢) يراجع، السَّابقُ، ١/٥٥.

(٣) السَّابقُ، ٣/ ١٧٣.

٢- التَّكْوِينُ البنيويُّ لنصِّ الأَيَّامِ:

٢/١- بينَ السِّيرةِ الذَّاتيَّةِ والرِّوايَةِ:

هُنَاكَ خَلْطٌ كَبيرٌ بينَ فَنِّ السِّيرَةِ وفنِّ الرِّوَايَةِ عنْدَ عددٍ كبيرٍ منَ النُّقَّادِ، ذلكَ لأنَّ السِّيرَةَ فنٌّ عرفهُ العربُ منذُ القِدمِ، يجمعُ بينَ التَّاريخِ والأَدبِ، وتعَدُّ أحدَ أهمِّ المَصَادِرِ التي لَهَا تأثيرٌ كبيرٌ عَلَى القِصَّةِ العَرَبِيّةِ، فَقَدْ أولَاها النُّقَّادُ والكُتَّابُ اهتمامَهُم، واعتَنوا بهَا وجعلُوا لهَا أشكالًا عِدَّةً، كانَ مِن بينِهَا فَنُّ السِّيرَةِ الذَّاتِيَّةِ، ومظاهرُ هَذَا الإختِلَافِ بينَ النُّقَّادِ أنَّ مَجمُوعةً مِنَ النُّقَّادِ يقُولونَ أنَّها جِنْسٌ أَدَبِيٌّ مُنفَصِلٌ، وبَعضُهم يَعُدُّها رِوَايَةً خَاصَّةً بالكَاتِبِ، وأنَّهُ يُمكِنُ بأيِّ شَكلٍ منَ الأَشكَالِ تَضْمِينُ كلّ كِتَابةٍ تَتَضمَّنُ حَيَاةَ الشَّخصِ التي كتبَهَا عن نفسِهِ فتُعدُّ رِوَايَةً، إلَّا أنَّ هَذَا يثيرُ تَساؤُلًا: هل يمكنُ إدراجُ كلِّ كِتَابةٍ يكتبُها كَاتِبٌ عنْ نفسِهِ تَحتَ فنِّ الرِّوَايَةِ؟ هَذَا محالٌ لأنَّهُ "قلَّما نجدُ بينَ النَّاسِ مَن لا يَزعمُ بطَرِيقَةٍ ما. إنَّ قضيَّةَ حَياتِهِ الشَّخْصِيَّةِ تملكُ قابليَّةَ التَّحَوُّلِ إلى رِوَايَةٍ عظيمةٍ، بمُجَرَّدِ أنْ تجدَ مَن يكتبُها"(١).

ومِنْ ثَمَّ؛ فإنَّ الحديثَ عَن سِيرةِ طَه حُسَيْن يظهرُ وجُودَ " تَعَطُّشٍ دَائِمٍ إلَى المَعْرِفَةِ وطُمُوحٍ فيّاضٍ لبناءِ رُؤيةٍ فَرديَّةٍ. وَتَقْتَضِي خَطَاطَةُ هَذِه السِّيرَةِ أن يَنتهِيَ صَاحبُها مظفّرًا مُتبصِّرًا بذَاتِهِ وبمُجْتَمَعِهِ وبالعالمِ مُؤمنًا بفكرةِ التَّقدّمِ والتَّرقّي الإنْسَانِيّ والحُرِّيَّةِ والعملِ"(٢)؛ فقد أثَّر كُلُّ ما عاشَهُ في طُفولتهِ في تَكْوِينهِ الفِكْرِيِّ والثَّقَافِيِّ، وما العالمُ الذي تخيَّلَهُ في أغلبِ الأحيانِ إلَّا مُكوّنٌ من مُكوّناتِ شَخصيتهِ.

---

(١) إيرفنج هـ. بوخن، جماليات الرواية العليا، ترجمة:محيي الدين صبحي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ط ١، ١٥٣.

(٢) طه حسين في "أيّامه"، أسئلة الفنّ والتغيير، دار الهلال، ٢٣-١٠-٢٠٢٠، على الرابط التالي،

https://darelhilal.com/News/699398.aspx

وَقدِ اِعتَنَى النُّقَّادُ بفَنِّ السِّيرَةِ عنايتَهم بالرِّوَايَةِ، واهتمّوا بالوحدَةِ في دِرَاسَتِهَا قَدْرَ اِهتِمامِهم بالقِصَّةِ وَوحدَتِها، فعرَّفُوها بأنَّها النَّوعُ الذي" يقومُ عَلَى وحدةِ الحَيَاةِ لا وحدةِ الحَادِثَةِ، أَو وحدَةِ العَملِ القَصَصِيّ، أو وحدةِ التَّأثيرِ"[1] أو هيَ "نوعٌ من الأدَبِ الحَميمِ الذي هُو أَشدُّ لُصُوقًا بالإنْسَانِ مِن أيَّةِ تَجْرِبَةٍ أُخرَى يُعانِيها، إذْ إنَّ خُطُوطَها مَخطُوطةٌ من شَخْصِهِ وجَداولَ تَنبعُ من قَرَاراتِهِ"[2].

تَدُلُّ هَذِه التَّعْرِيفاتُ دَلَالَةً وَاضِحةً عَلَى أنَّ السِّيرَةَ الذَّاتِيّةَ جِنْسٌ من الأَجْنَاسِ الأَدَبِيَّةِ تتَلاقَى ولا تَتَعَارَضُ معَ بقيَّةِ الأَجْنَاسِ، تَمِيلُ إلى كَونِها قِصَّةً أو رِوَايَةً، يقومُ بتأليفِها صَاحِبُها يعرضُ مِن خِلَالها حياتَهُ في إطارٍ من عَصرِهِ، وتَصْوِيرِ حِقبةٍ منِ الزَّمَنِ؛ مِمَّا يَجْعَلُ في قِراءَاتِها مُتعةً، يَتجلَّى فيها صِدقُ التَّعْبِيرِ و براعةُ التَصْوِيرِ.

يُمثّلُ نَصُّ الأَيَّامِ سِيرةً ذَاتِيَّةً، أملَاها سَارِدُها بلِسَانهِ اجتِرارًا للمَاضِي، واتَّخذَها وَسِيلَةً خَاصَّةً مِن وَسَائِلِهِ الكثيرةِ التي استطاعَ من خِلَالها التَّنفيسَ عمَّا في نفسِهِ، وإشراكَ القَارِئِ مَعهُ في مُعاناتِهِ، فكَانتْ وَسِيلَةً تَوَاصُلِيَّةً، هَدفَتْ إلى تَحْقيقِ التَقَارُبِ والتَوَاصُلِ القائمِ عَلَى أنَّ الفكرةَ في دلالتِها الإجْتِمَاعِيّةِ والكَلِمَة في صياغتها؛ فقد كان طه حُسَيْن أحدَ الطَّلَائِعِ الذين استوتْ عَلَى أيديهم معالمُ نهضةِ الرِّوَايَةِ المِصْرِيَّةِ المُعَاصِرةِ، بلِ الأدبِ العَرَبِيّ عَلَى الإجمال، فقوَّمَ مَنهَجًا وَاضِحًا منَ الفكرِ والثَّقافةِ العصريَّةِ، وسَبَرَ أعماقَ الشَّخْصِيَّةِ المِصْرِيَّةِ، وتمثَّلَهَا حتَّى استقامَتْ عَلَى نَهْجِها الوَاضِحِ ومعالمِها الأَصِيلَةِ؛ فكانتْ مراحلُ حياتهِ المُختلفةِ، كمَا كانتْ جهودهُ في الاتِّصالِ بالجَمَاهِيرِ مظهرًا لإيمانهِ بهَذِه المثلِ، ومصداقًا لعملهِ عَلَى التَّعْبِيرِ عنها في الوُصُولِ بمصرَ إلى الغدِ المَشْرِقِ، وفي تعزيزِ صلاتِها بالفكرِ الإنْسَانِيّ عَلَى تعدُّدِ آفاقِهِ، وفي مُقَاوَمَةِ العزلةِ بجميعِ ألوانِها، مُتمثّلًا في ذلكَ تراثَها التَّاريخِيّ،

(١) شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذَّاتِيَّة في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، ١١ .

(٢) تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذَّاتِيَّة في الأدب العربي، ١٥

وطابَعَها الفِعْلِيَّ، وقيمتَها الفِكْرِيّةَ، ومقوماتِها الأَصِيلَةَ التي كانتْ في مَجْرَى الحَضَارَةِ الإِنْسَانِيَّةِ المُوصُولِ، عاملًا فعَّالًا لا يجحدُ أثرهُ الدَّارِسُونَ(١).

إنَّ المشهدَ الذي يُمكنُ رسمُهُ عن طه حُسَيْن في نَصِّ الأَيَّامِ قوامهُ نصوصٍ أَدَبِيَّةٍ عديدةٍ ومُتَنَوِّعَةٍ، وما يُفرقُ بينها لا يَقِلُّ عَمَّا يَجمَعُ بينها في فُسَيفساءِ منَ النُّصُوصِ السَّرْدِيَّةِ، تَحكِي حَيَاةَ مُؤَلِّفها، وتَحْتاجُ إلى التَّصْنِيفِ والتَّحْدِيدِ والتَّعْرِيفِ(٢).

ويُعَدُّ نَصُّ الأَيَّامِ الأُنْمُوذَجَ الأَمثلَ الذي يَعكِسُ جِنْسَ السِّيرَةِ الذَّاتِيَّةِ العَرَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ، مِن حيثُ التَّقَارُبُ بينَ السِّيرَةِ الذَّاتِيّةِ وفنِّ الرِّوَايَةِ؛ لذا أثارَ الكثيرَ منَ التَّسَاؤُلَاتِ لدَى النُّقَّادِ، خَاصَّةً فيمَا يتعلَّقُ بماهيَّةِ جِنْسِهِ الأَدَبِيّ، وهَذَا راجعٌ إلى الوَسَائِلِ السَّرْدِيّةِ التي اتّبعها وتَبنَّاها طَه حُسَيْن، وعَملَتْ عَلَى إخفاءِ ذاتِ الكَاتِبِ واستعَاضَتِهِ عنها براوٍ مُتخَيَّلٍ، فَنُلَاحِظُ أنَّ الكِتَابَ يَدنُو مِنَ الكِتَابةِ التَّاريخِيّةِ؛ وهَذَا ما يَجعلُهُ يدُورُ في دائِرةِ هَذَا الجِنْسِ، أَو يُمكنُ تَسْمِيةُ جِنْسِهِ بأنَّهُ "سردٌ نَثْرِيٌّ سيرُ ذاتيٍّ يعمدُ فيهِ القاصُّ إلى تَسجيلِ سيرةٍ ذَاتِيَّةٍ خَاصَّةٍ بتجربتِهِ القَصَصِيّةِ في مَرحلَةٍ يعتقدُ أنَّهُ وَصلَ فيها إلى دَرَجةٍ منَ النُّضجِ والشُّهرةِ"(٣).

قَدَّمَ طَهَ حُسَيْن نَصَّ الأَيَّامِ بمُقدِّمَةٍ صَادقَةٍ حينَ قالَ: " هَذَا حَدِيثٌ أَملَيْتهُ في بَعضِ أَوقاتِ الفرَاغِ لَمْ أكُنْ أُرِيدُ أَنْ يَصدرَ في كِتَابٍ يقْرؤُهُ النَّاسُ، وَلَعَلِّي لَمْ أكُنْ أُرِيدُ

---

(١) عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، 11.

(٢) محمد الباردي، عندما تتكلم الذات في السيرة الذَّاتِيَّة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق،٢٠٠٥م، ٤.

(٣) محمد صابر عبيد، السيرة الذَّاتِيَّة الشِّعْرية لقراءة في التجربة للسيرة الشِّعْراء الحداثة العَرَبِيَّة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ٢٠٠٨م، ١١١.

أنْ أُعيدَ قراءتهُ بعدَ إملائِهِ، وإنَّما أَمليتُهُ لأَتَخلَّصَ بإملائهِ مِن بَعضِ الهُمُومِ الثِّقالِ والخَوَاطِرِ المُخزَّنةِ التي كَثيرًا ما تَعْتَرِي النَّاسَ بينَ حينٍ وحينٍ، وللنَّاسِ مذاهبُهُم المُختلِفةُ منَ التَّخفيفِ منَ الهمُومِ والتَّخَلُّصِ منَ الأَحْزانِ، فَمِنْهُم مَنْ يَتَسَلَّى عَنهَا بالقِرَاءَةِ، وَمِنْهُم مَنْ يَتَسَلَّى عَنهَا بالرِّياضَةِ، وَمِنْهُم مَنْ يَتَسَلَّى عَنهَا بالاستِمَاعِ للمُوسيقَى والغِناءِ، وَمِنْهُم مَنْ يذهبُ غيرَ هَذِه المذاهبِ كلّهَا لينسَى نفْسَهُ ويفرَّ من حياتهِ الحَاضِرةِ وما تثقلُهُ بهِ منَ الأعباءِ.

ولَستُ أَدرِي لِماذَا رَجَعتُ ذاتَ يومٍ إِلَى ذِكْرياتِ الصِّبا، أتحدَّثُ بها إِلَى نَفْسِي بهَذَا الحَدِيثِ أَثقالَ الشَّبابِ، ثُمَّ لَمْ أَكتفِ بالتَّحَدُّثِ إِلَى نَفْسِي فيمَا بَيني وبينها، إنَّما تَحدَّثتُ إليها حَدِيثًا مَسْمُوعًا؛ فأمليتُ هَذَا الكَلَامَ عَلَى صاحبِي في رحلةٍ من رحلاتِ الصَّيفِ، ثمَّ ألقيتهُ جانبًا، ونسِيتُهُ أَو كدتُ أنساهُ[1].

٢/٢- التَّقسِيمُ الشَّكْلِيّ للكِتَابِ:

ينقسمُ نَصُّ الأَيَّامِ إلى ثلاثةِ أجزاءٍ، كلُّ جزءٍ مُقسَّمٌ إلى عِدَّة فُصُولٍ، كلُّ فَصلٍ أَشبهُ باللَّوحةِ الفَنِّيَّةِ مُكتمِلةِ التَّفاصيلِ، ومعَ هَذَا يُقرأُ نَصُّ الأَيَّامِ دفعةً واحدةً مُتتابعَةً، بسببِ عنصرِ التَّشويقِ الذي اعتمدَ عليه السَّاردُ في سَردِهِ السِّيريّ:

٢/٢/١- بِنْيَةُ الأَجْزَاءِ(التَّمَاهِي بَينَ الحَدَثِ والسَّارِدِ)

يَصِفُ طه حُسَيْن في الجُزْءِ الأوَّلِ حياتَهُ منذُ وعيهِ ببداياتِها، وينقلُ فيهِ ما ترسَّخَ في وِجدانهِ بعدَ سنواتٍ طويلةٍ في فترةٍ زمنِيَّةٍ تمتدُّ منذُ طفولتهِ؛ أي التي يَعيها، إلى ذهابهِ للأزْهرِ في الثَّالِثةَ عَشرةَ من عُمرهِ[2]، ويبدَأُ عَمليَّةَ استرجاعِهِ لطُفولتِهِ، وللخيالِ فيها دورٌ واسعٌ، خَاصَّةً في وَصفهِ القريَّةَ وذكرياتِهِ فيها حيثُ يبدأُ استرجاعَهُ

(١) السَّابقُ،٣/ ١٧٣.

(٢) السَّابقُ ،٣/١. وما بعدها.

بيومٍ مجهولِ التَّاريخِ، يُحَدِّدُهُ مُعتمدًا عَلَى حواسِّهِ الأُخْرى بخلَافِ النَّظَرِ، بأن الزَّمَانَ كان في الفجرِ أو في العِشاءِ لأنَّهُ كانَ يَجهلُ حقيقةَ النُّورِ والظُّلمَةِ[١]

ونَلْحَظُ أَنَّ لِشَخْصِيَّةِ الصَّبي في هَذَا الجُزْءِ أَبْعَادًا كثيرةً، تبدأُ به طفلًا، يخاف العَفَاريتَ؛ فَيُغطِّي وَجْهَهُ في اللَّيلِ، يخَافُ أيَّ حَركَةٍ، ويظلُّ مضطربًا، فإذا أفاقَ، فإنّ أفعالَهُ التي يَتَخيَّلُها تَنتهِي عِندَ القَناةِ القَريبةِ مِن بيتِهِ، عَلَى ضِيقِها الذي لا يُدركهُ، غنَّهُ عالمٌ مَمزُوجٌ بالسِّحرِ والتَّماسيحِ والأَسْماكِ التي في بُطُونِها خاتمُ سُلَيمانَ السِّحريّ[٢] .

تَبْدَأُ تِلْكَ الأَحْدَاثُ معَ الصَّبي في المكوّناتِ الأُولى لنفسيّتِهِ وثقافتِهِ من خِلَال تعاملِهِ معَ أُناسٍ يُمثِّلونَ بيئتَهُ، وتتزاحمُ الشَّخصيَّاتُ في هَذَا الجُزْءِ، مِن شخصيَّةِ سَعيدٍ الأعرَابيِّ الشِّرِّيرِ وامرأتِهِ كَوابِسَ، إلى كلَاب العدويّينَ[٣]، مرورًا بِشَخصيَّةِ حسن الشَّاعر الشَّعبيّ، ثمَّ يقدّم بعدَ إدخالِ هَذِه الشَّخصيَّاتِ شيئًا مِن هَذَا الصَّبيّ [٤].

بدَأَ الصَّبيُّ في هَذَا الجُزْءِ مُوَاجَهَةً لمواقفَ جَدِيدَةٍ في الحَيَاةِ؛ كَامتحانِ أبيهِ إيَّاهُ في حِفظِ القرآنِ الكريمِ، وفشلِهِ في ذلكَ حتَّى "كانَ اليوم المَشئُوم ... كان هَذَا اليومُ مَشئُومًا حقًّا؛ ذاقَ فيه صَاحِبُنا لأوَّلِ مرَّةٍ مرارةَ الخِزي والذِّلَّةِ والضَّعَةِ وكَرِهَ الحَيَاة. عاد من الكُتَّاب عصرَ ذلك اليومِ مُطمئنًا رَاضيًا، ولم يكدْ يدخلُ الدَّارَ حتَّى دعاهُ أبوه بلقبِ الشَّيخ، فأقبَلَ عليهِ ومعهُ صَديقانِ لـه، فتلقَّاهُ أبوهُ وسألهُ أن يُسمعَ سورة الشُّعْرَاءِ مبتهجًا، وقد أجلسَهُ في حنوٍّ ورِفقٍ، وَأَخَذَ يَسألُهُ في البدايةِ أسئلةً تقليديَّةً، ثمَّ شرعَ

(١) يراجع، السَّابقُ ،٣/١.
(٢) يراجع، السَّابقُ ١١/١- ١٢
(٣) يراجع، السَّابقُ ١٨/١.
(٤) يراجع، السَّابقُ ، ٢٣/١.

يطلبُ منه أن يقرأَ ما تيسّر من هذه السُّورةِ الكَريمةِ، ولكنْ وقعَ عليه سُؤالُ أبيهِ وَقْعَ الصَّاعقةِ"(١).

ثُمَّ يَنتقِلُ بنَا بعْدَ ذلكَ إلَى حفظِهِ المتُونَ وألفيَّةَ ابنِ مالكٍ بعد أن كانَ أبوهُ قد عيَّنَ له مُدرِّسًا في البَيتِ يدرُسُ عليهِ، ثمَّ انتقل إلى الدِّراسةِ معَ أخيهِ في القَاهِرَة (٢)، ثمَّ استقرَّتْ حَياتهُ بين البَيتِ والكُتَّابِ والمَحكَمَةِ والمَسْجِدِ وبيتِ المفتّشِ، وما أَصابَ الأسرَةَ بَعد ذلك من حُزْنٍ لا يَنقَطِعُ حيث وفاةَ أختٍ صَغِيرَة لهُ(٣).

كما يصفُ آلامَهُ. وما تكادُ الأسرةُ تفرغُ منَ الجزَعِ عليها؛ حتَّى فُجِعتْ بوفاة أخٍ من إخوتِهِ، نزعتْهُ مِن بينِهِم "الكُوليرَا(٤).

٢/٢/٢- الجُزْءُ الثَّانِي والانتقالُ بينَ الشَّخصيّاتِ:

نرَى السَّاردَ في الجُزْءِ الثَّانِي وقدِ انتقلَ إلَى القَاهِرَةِ، فَيوجِّهُ حديثَهُ إلى ابنهِ مُؤنِس، كَمَا خاطبَ ابنتَهُ أمينةَ في الجُزْءِ الأَوَّلِ:" وها أنتَ ذَا يا بُنيَّ تَهْجُرُ وَطنَكَ ومدينتَكَ ودارَكَ وتفارقُ أهلكَ وأَصْدِقَاءَك، وتعبُر البحْرَ في سنّكَ هَذِه الصَّغِيرَةِ لتطلبَ العلمَ وحيدًا في باريسَ. فَدَعْنِي أُهدي إليكَ هَذَا الحديثَ لعلّك ترتاحُ إليه بين حينٍ وحينٍ إذا أجهدكَ درْسُكَ ووجدتَ في اللَاتِينِيَّةِ واليُونَانِيَّةِ مشقَّةً أو عناءً، هنالكَ تَرى لونًا لمْ تعرفْهُ مِن ألوانِ الحَيَاةِ في مِصْرَ، وتذكَّر شَخَصًا طالما ارتاحَ إلى قُربِكَ منْهُ، وَطَالَمَا وَجدَ في جِدِّكَ وهَزلِكَ لذَّةً لا تَعدلُها لذَّةٌ، ومتَاعًا لا يَعدلُهُ مَتاعٌ"(٥)، ثُمَّ يُبيِّنُ لهُ

---

(١) السَّابقُ، ٣٥/١.

(٢) السَّابقُ،٦٠/١.

(٣) يراجع، السَّابقُ، ١٠٨/١.

(٤) إيهاب الملاح، مرفأ قراءة، الأيَّام لطه حُسَيْن الأيَّام النص المؤسس لأدب السِّيرَة الذَّاتِيّة، جريدة عُمان، عدد٦ نوفمبر ٢٠٢١م، https://www.omandaily.om .

(٥)السَّابِقُ، ٢١٢/٢

الحيرةَ التي كانَ فيها، والجهلَ بحقيقةِ المكانِ حيثُ "لا يعرفُ من أمرهِ إلَّا أنَّهُ تركَ الرِّيفَ، وانتقلَ إلى العاصمةِ؛ ليطيلَ فيها المقامَ طالبًا للعلمِ مُختلفًا إلى مجالسِ الدَّرسِ في الأزهَرِ"(١)،

وفي الأَزهَرِ تابَعَ أخاهُ وانتَظَمَ في الدَّرسِ؛ حيثُ زاولَ الدِّراسَةَ القديمةَ فيهِ إلى جانِبِ عَمُودٍ من أعمدتهِ، يستمعُ إلى هَذَا الشَّيخِ أو ذاكَ. وَوصفَ لنَا في أثناءِ ذلكَ المَصَاعِبَ التي وَاجَهَتْهُ، والإهمالَ الذي عاناهُ مِن أَخيهِ، وأَعْطَانَا صُورةً دَقيقةً لِحَيَاةِ الأزهريّ الضَّريرِ مِن أَمثالهِ في أوائلِ هَذَا القرنِ، وما كانَ يَشقَى بهِ في غُدوِّه ورواحهِ ويَقظتهِ ونَومِهِ(٢).

كما يَصِفُ في هَذَا الجُزْءِ حياتَهُ في القَاهِرَةِ والأزهرِ، فقد صوَّرَ البيئةَ والعَصرَ تَسجِيلًا حيًّا في البيئةِ الأَزهَريَّةِ، وما يتَّصِلُ بهَا في تِلْكَ الآونةِ التي عَاشَهَا(٣) ثمَّ يَصِفُ البَيتَ الغَريبَ الذى سَكنهُ في جِوارِ الأَزهَرِ، وما يدُورُ حَولَهُ من أَحْدَاثٍ وطُرقٍ وأُناسٍ، وَاصِفًا جَوَّ التَّعلِيمِ في الأزهَرِ، وعَلاقاتِ الطُّلَّابِ ببعضِهم بعضًا.

كما يصفُ غُرفتَهُ ومجلِسهُ فيها والأشياءَ القليلةَ الموجودَة بها، وكيفَ يقضِي بها أيامَهُ ولياليه حينَ يتركهُ أَخوهُ. وفيه أيضا أظهرَ حبَّهُ للعِلمِ، وكيفَ كانَ يسترجعُ كَلَامَ أبيهِ حين يقولُ إنَّ: " العِلمَ بَحرٌ لا سَاحلَ لهُ، فلمْ يأخذْ هَذَا الكَلَامَ عَلَى أنَّهُ

---

(١)السَّابِقُ نفسه.

(٢) الأَيَّام لطه حسين النص المؤسس لأدب السيرة الذَّاتِيَّة، ٠٦ نوفمبر ٢٠٢١، https،//www.omandaily.om

https،www.omandaily.om///ثقافة/na/مرفأ-قراءة-الأَيَّام-لطه-حسين-النص-المؤسس-لأدب-السيرة-الذَّاتِيَّة.

(٣) أحمد هيكل ، طه حسين ومعجزة طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ، مجلة الهلال ، أول مايو ١٩٧٢م، ص ٦٥.

تشبيهٌ أو تجوُّزٌ، وإنَّما أخذهُ عَلَى أنَّه الحَقُّ كلَّ الحَقِّ. وأقبلَ إلى القَاهِرَةِ وإلى الأزهرِ يريدُ أن يُلقيَ نفسَهُ في هَذَا البحرِ؛ فيشربُ منه ما شَاءَ اللهُ لهُ أن يشربَ، ثمَّ يموتُ فيه غرقًا، وأيُّ موتٍ أحبُّ إلى الرَّجلِ النَّبيلِ من هَذَا المَوتِ الذي يَأتيهِ مِنَ العِلمِ، ويأتيهِ وهو غَرِقٌ في العِلْمِ"(١)؛ فأحبَّ الأزهرَ، ومكثَ به يتلقَّى دُروسَهُ، ويتطوَّرُ عامًا بعد عامٍ، وينتقلُ من درسٍ إلى درسٍ حتَّى إذا انتهَى اليومُ الدِّراسيُّ أخذهُ صاحبهُ عائدًا بهِ إلى غرفتهِ، وهو طورهِ الأوَّلِ؛ فيُلقيهِ في مكَانهِ منَ الغُرفةِ عَلَى ذلكَ البِسَاطِ القَديمِ الذي ألقَى عَلَى حَصيرٍ بالٍ عَتيقٍ(٢)، ومُنذُ ذلكَ الحينِ تهيَّأَ الصَّبيُّ لاستقبالِ حظَّه من الفراقِ؛ وهو الوحدةُ المتَّصلةُ، وهي مصدرُ عذابٍ له، فقد كانَ يستقرُّ في مجلسِهِ من الغُرفةِ قُبيلَ العَصرِ ، ثمَّ ينصرفُ عنهُ أخوهُ؛ فيذهَبُ إلى غرفةٍ أُخْرى منْ غرفِ الرَّبْعِ عندَ أحدِ أصحابهِ، وكانَ مجلسُ الجماعةِ لا يَسْتقِرُّ في غُرفةٍ واحدةٍ لعينِها من غرفاتِهِمْ، وإنَّما يكونُ عندَ أحدِهم إذا أَصبَحُوا، وعندَ آخرَ إذا أمسوا، وعندَ ثالِثٍ إذا تقدَّم اللَّيلُ(٣).

وَنَجِدُ هُنَا أنَّ البَيتَ مَوضِعُ الأُلفةِ والأَمنِ "يتحوّلُ مع البطَلِ إلَى فضاءٍ للوحشَةِ والعَذَابِ، خَاصَّةً إذَا كَسَاهُ اللَّونُ الأَسْودُ المُزدوجُ، سواد اللَّيلِ وعذَابَاته، وسَواد الظّلْمةِ الكاسِيةِ للغُرفَةِ"(٤).

كمَا كَانَتْ نَفْسُ الصَّبيِّ تَضطَرِبُ، وهُوَ سَاكنٌ أَشَدَّ السُّكُونِ، وقدْ يَصْرِفُهُ عَنهَا صَوتُ مُؤذِّنِ مَسجِدِ بِيبرسَ الذي لم يذهبْ إليهِ، ويظَلُّ في سكونهِ ذاكَ، وقد تأخذهُ

(١) طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،٢/٢٠- ٢١

(٢) السَّابِقُ،٢/٢٦

(٣) السَّابِقُ، ٢/٣٧

(٤) غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ٣٥.

سِنةٌ وهُو جالسٌ في مَكَانهِ، وقد تُسْلِمهُ إلى النَّومِ، ولكنَّهُ كانَ يَسمَعُ منْ أُمِّهِ أنَّ نَومَ العَصرِ بغيضٌ مُؤذٍ للأجْسَامِ والنُّفُوسِ؛ فيهَبُّ مَذعورًا؛ لأنَّ أخاهُ جاءَهُ يَحْملُ إليهِ عَشَاءَهُ الذي كانَ يتألَّفُ مِن رغيفٍ وقطعٍ من الجُبنِ الرُّومي، أو قِطعةٍ من الحلَاوةِ الطَّحينيَّةِ؛ فكَانَ هَذَا عشاءَهُ أثناءَ الأُسْبُوعِ(١).

ثُمَّ يطُوفُ بنَا الصَّبيُّ إلى الغرفةِ الأُخْرى التي يسْكُنها شبابٌ، كانوا مصدرَ فكاهةٍ ولهْوٍ، وبها شابٌّ يكبرُ زملاءَهُ سنًّا، ولكنَّهُ لا يميلُ إلى العلمِ، فإذا اجتمعَ هؤلاءِ الشَّبابُ راجَعُوا مقُولاتِ الإمامِ محمد عبده ودَلُّوا غيرَهم عَلَى الكتبِ التي لم تكنْ موجودَةً في الأَزهرِ لأنَّهُم سَمِعُوها مِن شَيخِهم، ثمَّ يحكي قِصَّةَ ذلكَ الشَّابَّ الذي كان لا يحبُّ العلمَ، ولكنَّهُ يُحبُّ مجالسَةَ أقرانهِ، ولا يكادُ يُفارقهُم، مَعَ أنَّهُ في بَعضِ الأحيانِ يتركُ شلَّتَهُ من الشَّبابِ ويعرجُ عَلَى الصَّبيّ عَطفًا ومُساعدةً في قِرَاءَةِ بَعضِ الكتبِ لبعضِ العلومِ، ولكنَّ الصَّبيَّ كانَ لا يَسْتسِيغُهُ، ولا يُريد مُجَالَسَتَهُ .

تَمضِي الأَيَّامُ، وتفرِّقُ هؤلاءِ الشَّبابَ الطُّلَّابَ، وقد أخذَ كلٌّ واحدٍ منهم طريقَهُ في الحَيَاةِ، ولكنَّ هَذَا الرَّجلَ لا يَنْسَاهُم، ولا يَسمحُ لهُم أن ينسوهُ، عَجَزَ عَن تتبُّعِهم في العِلمِ، ولَكنَّهُ لمْ يَعجزْ عَن تتبُّعِهم في الحَيَاةِ، يزورُهم وإن لم يَزورُوهُ وأحيانًا يلقاهُم في بَعضِ زِياراتهِم لِآخرينَ(٢).

ومنْ ذِكريَاتِ الصَّبيّ رِوايتُهُ للصَّوتَينِ الغَريبينِ؛ صوتِ الحاجّ عَليٍّ، وصَوتِ عَصَاهُ ويَستمرُّ وَصفُهُ لهُ في مُجَاورَتِهِ لسكَنِ طلَّابِ العلمِ وارتياحِهم لَهُ، ولكنَّ الصَّبيَّ، كان يراهُ يتكلَّفُ التَّقوى والوَرَعَ، وَظَلُّوا يَأْنسُونَ بوجُودِ الحاجِّ عليٍّ، ومُسَاعَدَتِهِ لَهُم .

---

(١) طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،٢/٤٢

(٢) السابق،٣/٨١

ثُمَّ عرَّجَ الصَّبيُّ في ذكرياتِهِ إلى قِصَّةِ الشَّيخِ محمد عُبده معَ الأزهرِ، وقدَّمَ لهَا بحكايَةِ الغُرفةِ المُجاورةِ التي يوجدُ بها شبابٌ يتعاطونَ الفُكَاهَةَ(١).

وسَرَدَ اختلَافَهُم إلى الإمامِ محمد عبده وذهَابهم مَذْهبهُ في التَّوَجُّهِ للكُتبِ القيّمةِ التي لا تُقرأُ في الأزْهرِ؛ فكانَ الطُّلابُ يجهدونَ أَنفسَهم في شراءِ كتبِ الطَّرفينِ؛ فيلقونَ ما يلقون من المعاناةِ؛ لما يَجدُونَ مِن تناقُضٍ بينها، وكانَ يمنعُهم حاجزُ المالِ؛ فيَستَعِيرُونَها من مكتبَةِ الأزهَرِ؛ مُعجبينَ أيَّما إعجابٍ بالإمامِ، وما يُقَدِّمهُ لهُم منْ دُرُوسٍ، ولكنّ ذلكَ الشَّابَّ الذي اتَّصلَ بهم واستأنسَ بجوارِهم لمْ يفتحْ عليهِ اللهُ بشيءٍ منَ المَعْرِفَةِ فكانَ يشاركُ زملاءَه الطلاب في كلّ شيء إلَّا الدَّرسّ ثمَّ تمضِي الأَيَّامُ ويتفرَّقُ هؤلاء الطُّلابُ وأخذَ كلُّ واحدٍ منهم طَرِيقَةُ في الحَيَاةِ ولكنَّه لا ينسَاهُم ولم يسمحْ لهُم أن ينَسوهُ وعجزَ عن تتبُّعِهم في الدَّرْسِ ولم يَعجزْ عنِ الاتِّصالِ والزِّياراتِ.

ثمَّ حَدَثَ أنْ خَرجَ محمد عبده منَ الأَزهَرِ بعدَ تِلْكَ الفِتنةِ السِّياسيَّةِ المعرُوفةِ، وإذا بصَاحِبنا يتَّصِلُ بالإمامِ وشَيخِهِ، وبخصومِهِ كذلك وقد اضطربَ الأَزهرُ، وتدخَّلتِ السِّياسةُ في ذلك الاضطِرابِ واختَصمَتْ فيه السُّلطتانِ، وإذا بصَاحبنا يتَّصِلُ بالطَّرفينِ طرفَ المُضربينَ، ويُشاركُهم الإضرابَ، وبخُصُومِ الإضرابِ مفشيًا لهُم أسرارَ المُضربينَ.

وفي طَورٍ من أطوارِهِ ذَهَبَ مع أخيهِ الأكبرِ مُسْتمِعًا لدرْسِهِ، وقدْ كانَ أَخوهُ في بعض الأوقاتِ يقرأُ عليهِ بعضَ أبياتٍ منَ الشِّعْرِ، والبيتُ الذي يسمعهُ لأوَّلِ مرَّةٍ، يعجبُ بهِ، ويحفظهُ، ولكنَّهُ لا يفهمُ منهُ شيئًا، ثمَّ أُتيحَتْ لهُ الفُرصَةُ لِيَصِلَ إلَى مَرحلةِ دِراسَةِ الأدَبِ، وعشقِهِ، والتَّعَمُّقِ فيهِ، وقد كانَ دبَّ الخلافُ بينهُ وبينَ زملائهِ حولَ بيتٍ في أثناءِ الدَّرسِ؛ فبَعْضُهُم كانَ يَلْهُو، وبَعضُهم يَتَسَلَّى بأشياءَ أُخْرى، ولكنَّ

(١) السَّابِقُ،٢/٩٣

الصَّبيَّ كانَ مهتمًّا بكلِّ ما يسمعُ، وقد منحهُ اللهُ ذَاكِرةً قويَّةً لِلْحفظِ سَجَّلَ فيها أغلبَ مَعلُوماتِهِ.

وقدْ يُحرِّرُ منها أغلبَ كِتَابَاتِهِ التي يمرُّ بها المُجْتَمَعُ، وهَكذَا أَصْبحَ طه حُسَيْن في الطّورِ الثَّانِي من أيَّامِهِ عالِمًا أَزهَريًّا وصَحَفيًّا بارِزًا أو أَدِيبًا مُتقدّمًا مَلأَ أفواهَ النَّاسِ بأخبارِهِ وتنَاقلَتِ المارَّةُ أَقوالَهُ وعَوَّضهُ الله عن فُقدانِ البَصَرِ إذاعةُ صِيتِهِ وانتِشَارُ ثقافتِهِ وعلمِهِ.

ومن خِلَالِ الاطِّلاعِ عَلَى مُكوِّناتِ الجُزْءِ الثَّانِي من كِتَابِ الأَيَّامِ، نجدُ أَنَّهُ يميلُ إلى "طابعِ اللَّوحاتِ القَصَصِيَّةِ، المَمزُوجةِ بِشيءٍ منَ السَّرْدِ والوَصفِ التَّاريخِيّ والإِجْتِمَاعِيّ. ويَبدُو أنَّ المُؤَلِّفَ ينتقِي الأَحْدَاثَ كما يريدُ، ويقفُ عندَ الفترةِ التي يرغبُ، دونَ أن يجعلَ مِن هَذَا الجُزْءِ كِتَابًا للتَّاريخِ أَو دراسةً اِجْتِمَاعِيّةً، فهُو مرتبطٌ بالجُزْءِ الأوَّلِ اِرْتِبَاطًا وَاضِحًا"(١). وهَذَا إنَّما يَدلُّ عَلَى براعَةٍ قَصَصِيّةٍ لدى عَمِيد الأدبِ العَرَبِيّ، وقدرةٍ عَلَى تَوظِيفِ أدواتِهِ الفَنِّيَّةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِن اعتمادِهِ عَلَى الذَّاكِرَةِ لسَرْدِ تِلْكَ الأَحْدَاثِ والمَشاهِدِ الرَّائعةِ التي صَاغَها فنًّا أَدَبِيًّا مُميَّزًا.

٢/٢/٣- الجُزْءُ الثَّالثُ والانتقالُ بين الشّرقِ والغرب:

نجدُهُ يرصُدُ في الجُزْءِ الثَّالِثِ فترةً جَدِيدَةً من حياتِهِ، مثَّلتِ الصِّرَاعَ الفِكْرِيَّ في أقصَى درجاتِهِ، حيثُ كانتِ المُوَاجَهَةُ عَلَى أشدِّها في سبيلِ التَّجْدِيدِ والانفتاحِ، وفترةِ الانتقالِ إلى عالمٍ جديدٍ؛ هو فرنسا المتمثِّلةُ في ثقافتِها التي طبَعتْ فكرَهُ إضَافةً إلى ثقافتِهِ العَرَبِيّةِ الأَصِيلَةِ، فقدْ ضاقَ الفتَى ذرعًا بالأزهرِ ومَشيَختِهِ، وراحَ يكتبُ المقالاتِ النَّقْدِيَّةَ التي هاجَمَ فيها الأزهرَ في غيرِ رفقٍ، وقد أثارَ ذلك حفيظةَ الأزهريّينَ، فعملُوا

(١) الكركي خالد عبدا لعزيز سليمان والسرة ، محمود (١٩٧٧) "طه حسين روائيا" (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان، ١٠٣.

عَلَى إسقاطِهِ في امتحانِ العالميَّةِ، وعملُوا عَلَى فَصلِهِ عن دروسِ الأزهرِ، فبعدَ أنِ "استعدَّ الفتَى وأَحسنَ الاستِعدادَ، وحفظَ، فأحسنَ الحفظَ، حتَّى إذا لم يبقَ بينهُ وبينَ شُهودِ الامتحانِ إلَّا سوادُ اللَّيلِ، أقبلَ عليهِ شَيخُهُ المَرصِفيُّ؛ فأنبأهُ هَذَا النَّبأَ العَجيبَ الذي لم يحملْهُ إليهِ في ضَوءِ النَّهَارِ، وإنَّما حملَهُ إليهِ في ظُلمةِ اللَّيلِ، بعدَ أنْ صُلِّيتِ العِشاءُ.

قالَ شَيخُهُ: إذا أصبحتَ يا بُني فاستقلْ منَ الامتحانِ، ولا تحضرهُ من عامكَ هَذَا، فإنَّ القومَ يأتمرونَ بكَ ليسقِّطُوكَ.

قالَ الفتَى: وما ذاكَ؟!

قالَ شَيخُهُ: تعلمُ أنّي عُضْوٌ في لجنةِ الامتحانِ التي ستحضرُ أمامَها غدًا، التي يرأسُها الشَّيخُ دسوقيّ العَرَبِيّ، فقدْ دُعِيَ رئيسُ اللَّجْنةِ إلى الشَّيخِ الأكبرِ، وأُمرَ بإسقاطِكَ مَهمَا تكنِ الظُّرُوفُ[1].

ثمَّ سَافرَ بَعدَها إلى فرَنسا، وانكَبَّ عَلَى الدَّرسِ والتَّحصيلِ، وواجهَ في الحَيَاةِ الباريسيَّةِ صُعُوباتٍ جَمَّةً، وظلَّ كذلكَ إلى أنْ تعرَّفَ إلَى الفتاةِ التي عطفَتْ عليهِ، وكانتْ لهُ في حيَاتهِ العينَ المُبصرَةَ، وكانتْ له الزَّوجةَ والرَّفيقةَ المُخلصةَ.

ثمَّ عادَ إلى القَاهِرَةِ بعد نيلهِ الدّكتوراه الثَّانِيَةَ، ونالَ كذلكَ شهادةَ الدِّراسةِ العُلْيا في التَّاريخِ منَ السُّوربُونَ[2].

٢/٣- تِقنيةُ الاسترجاعِ وآليَّاتَ السَّرْدِ في نصّ الأَيَّام:

قامَ السَّاردُ عَلَى المُستوى الفنّيّ باستخدَامِ تِقنيَةِ الاستِرجَاعِ في تذكُّرِ أيَّامهِ المَاضِيةِ إبَّانَ الطُّفولةِ، وما كانَ لهُ إلَّا الاسترجاعَ نظرًا لِمَا يُعانيهِ مِن آفةِ العَمَى،

(١) طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،٣/ ٢٦٩

(٢) السَّابِقُ، ٣/ ٢٩٣.

ولكنَّـهُ استخدَمَ ذلكَ مُعتمِدًا عَلَى حواسِّـهِ الأُخرَى، فـلَا يَلزَمُـهُ أن يكـونَ مُبصـرًا ولكـنْ يكفيهِ أنْ يكونَ بَصِيرًا، ونجدُ في بدايةِ الفصلِ الأوَّلِ براعَةً في الاعتِمادِ عَلَى الحواسِّ الأُخرَى فـي استكشـافِ عالمِـهِ الـذي لا يـراهُ؛ فيقـولُ: لا يَـذكرُ لهَـذَا اليـومِ اِسـمًا، ولا يَستطِيعُ أنْ يَضعَهُ حيثُ وضعهُ اللهُ مِنَ الشَّـهرِ والسَّنةِ، بـل لا يستطِيعُ أنْ يـذكرَ من هَذَا اليومِ وقتًا بعينِهِ، وإنَّما يُقرِّب ذلكَ تقريبًا. وأكبرُ ظنِّـه أنَّ هَذَا الوقتَ كـانَ يقـعُ من ذلكَ اليومِ فـي فجرِهِ أو فـي عِشَـائِهِ، ويُرجِّحُ ذلكَ لأنَّـهُ يـذكرُ أنَّ وجهَـهُ تَلقَّى فـي ذلكَ الوقتِ هواءً فيهِ شَيءٌ منَ البردِ الخَفيفِ الذي لم تذهَبْ بهِ حرارةُ الشَّمسُ، ويُرجِّحُ ذلكَ لأنَّه عَلَى جهلِهِ حقيقةَ النُّورِ والظُّلمَةِ، يكادُ يذكُرُ أنَّهُ تلقَّى حينَ خرَجَ منَ البيتِ نُورًا هادِئًا خَفيفًا لَطِيفًا كأنَّ الظُّلمةَ تَغشَى بعضَ حواشيهِ، ثمَّ يُرجِّحُ ذلكَ لأنَّـهُ يكادُ يذكرُ أنَّهُ حينَ تَلَقَّى هَذَا الهَواءَ وهَذَا الضِّياءَ لـمْ يُؤْنِسْ مِن حولِـه حركـةَ يَقَظـةٍ قويـةٍ، وإنَّما آنسَ حركةً مُستيقظةً من نومٍ أو مُقبلةً عليهِ"[1] ويُحمدُ لهُ تِلْكَ القدرةُ عَلَى تذكُّرِ أدقِّ التَّفاصِيلِ، ليخلقَ مَشهَدًا يَسهلُ عَلَى القَارِئِ تَخيُّلهُ ومُعَايشَةُ أَحْدَاثِهِ.

فَعمليَّةُ الاستِرجاعِ في السَّرْدِ تَجعلُ للخيالِ دورًا واسعًا، خَاصَّة في وصفهِ ذكرياتهِ في القريةِ التي بَدأَتْ؛ كَمَا أَوْردَ، بيومٍ مَجهُولٍ، إلَّا أنَّهُ يحدِّدُ زَمنَ الحدَثِ بِـ "الفَجْرِ أوْ في العِشَاءِ، لأنَّهُ كانَ يَجهَلُ حَقيقَةَ النُّورِ والظُّلمةِ"[2].

كما جَعلتْ تِلْكَ الظُّلمةُ التي عَاشَهَا السَّاردُ لهُ عالمًا خاصًّا بهِ، فاتَّخذَ فـي الجُزْءِ الأوَّلِ من كِتَابِ الأَيَّام أَبْعَادًا كثيرةً لشَخصيَّتهِ التـي تَبدَأُ بـالخَوفِ مِنَ العَفاريتِ، وكـانَ يُغطِّي وَجهَهُ خَوفًا منها، يخافُ أيَّ حركـةٍ، يَسمعُها ويظلُّ مُضطربًا، فإذَا أفاقَ، هالـهُ

(١)السّابق،١/٣.

(٢) السابق نفسه.

ذكرُ القناةِ التي يَنتهِي عَالمُها عندَها، حيثُ يَتخيَّلُها عالمًا مليئًا بالسِّحْرِ والتَّماسِيحِ التي تزدَرِدُ النَّاسَ ازدِرَادًا والأَسْماك التي تَحمِلُ في بُطُونِها خاتمَ سُلَيمانَ السِّحريِّ(١).

لَقدْ سَيطَرَ هَذَا العالَمُ السِّحْرِيُّ المُتخَيَّلُ الذي يَسترجِعهُ في مُعظمِ أجْزَاءِ الفَصْلِ الأَوّل مِن سَردِهِ عَلَى المُكوِّناتِ الأُولَى لنَفْسِيَّةِ طَه حُسَيْن، وثَقَافتِهِ، وحُبِّهِ للأَدبَ فيمَا بَعدُ.

٣/٤- الشَّخْصِيَّاتُ ومُستَوَى التَّأثِيرِ:

حَوَى نَصُّ الأَيَّامِ عَلَى مَدارِ أَجزائِهِ الثَّلاثةِ كَمًّا كَبِيرًا منَ الشَّخصيَّاتِ، واستطاعَ السَّاردُ في سرد تِلْكَ الشَّخصيَّاتِ تَوظِيفَها الفَنِّيَّ عَلَى مَدارِ النَّصِّ، وجَعَلَ لكلِّ شَخْصِيَّةٍ دَورًا في تكْوِينِ ثَقافتِهِ سَلبًا أو إيْجابًا، ولَعلَّ شَخْصيَّةَ الصَّبِيِّ هي الشَّخْصِيَّةَ الأبرزُ في الأَيَّامِ، وكَانتْ مِحْورَهُ، وعليهِ قامَتْ، إذْ تُمثِّلُ السَّاردُ نفسَهُ، بما عاشَهُ وعايشَهُ مِن آلامٍ وآمالٍ، من حَقائقَ وخُرافاتٍ وأَسَاطيرَ، مِن وَاقِعٍ ومُتخيَّلٍ.

وتَكوَّنتْ شَخصيَّتهُ من خِلَالِ تعاملهِ مع أناسٍ يمثِّلون بيئتَهُ. تبدأُ شخصيَّاتهم تتزاحَمُ في الجُزْءِ الأوَّلِ منَ الكِتَابِ، وتَمثَّلتْ تِلْكَ الشَّخصيَّاتُ في الأُسرةِ التي بلغَ عددُها ثلاثةَ عَشرَ ابنًا وبنتًا إضَافةً إلَى الأبِ والأمّ والجدُودِ(٢).

وكَانَ لشَخْصِيَّةِ الإخوَةِ أَثرٌ كَبيرٌ عَلَى شَخْصِيَّةِ السَّارِدِ؛ حينَ يذكُرُ أنَّهُ "كانَ سابعَ ثَلاثةَ عشرَ من أَبناءِ أَبيهِ وأُمِّه، كانَ يُحِسُّ أَنَّ إخوتَهُ وأَخوَاتِهِ يَسْتطِيعُونَ ما لَا يَستَطِيعُ، وأنَّ أمَّهُ تأذنُ لهُ في أشياءَ تُحْظَر عليهِ، وكان ذلكَ يغضبُهُ، ولم يَلبثْ أن تَحوَّلَ ذلكَ كلُّهُ إلى حُزنٍ صَامِتٍ عَمِيقٍ في نَفْسِهِ، وقد توغَّل طه حُسَيْن في أعمَاقِ

(١) السابق، ١١/١.

(٢) طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،١٥/١

نَفْسِهِ ليُظهِرَ لنَا أَثَرَ العَمَى فيها وفي شَتَّى تَصَرُّفاتهِ وأحوالهِ الحياتيَّةِ، كما أسرَفَ في وَصفِ حَالهِ مع المُجْتَمَعِ الذي يَعِيشُ فيهِ"(١).

ومِن قبلِ الأسرةِ ظهرتْ شَخصيَّاتٌ كانَ لهُ تأثيرٌ كبيرٌ عَلَى شخصِهِ وشَخْصيَّتِهِ؛ ومن هَذِه الشَّخصيَّاتِ: سعيد الأعرابيّ الشِّرير وامرأته كوابس(٢) وحسن الشَّاعر الشَّعبيّ(٣)، الذي كان مدخلًا للتَّأثيرِ في الحسِّ الأَدَبِيّ والفنِّيّ للسَّردِ.

كما بَرزتْ شَخصيَّةُ سيِّدنا والعرّيفِ حيثُ "بدأَ يَسعَى إلى الكُتَّابِ. ويَرى مِن حولهِ طَائفةً مِنِ النِّعالِ، منها نَعلُ سَيِّدنا نفسِهِ في ضُحَى يَومٍ كانَ جالسًا عَلَى الأرض بين يديهِ يَعبثُ ببَعضِها، ويذكرُ ما كانَ قد أُلصَقَ بِها من الرُّقَعِ، ويذكُرُ دَكَّةً منَ الخشَبِ صَغِيرَةً ليستَ بالعالِيةِ ولا بالمُنخفضَةِ؛ قد وُضِعتْ عَلَى يمينِ الدَّاخِلِ ..."(٤)، وكانَ لتلك الشَّخْصِيَّةِ أَثَرٌ عَظِيمٌ في شَخْصيَّةِ طه حُسَيْن، حيثُ تعلَّمَ منها الاحتياطَ، وخلقتْ لديهِ توجُّهًا ما نَحوَ الشُّيوخ. إضافةً إلى العديدِ منَ الشَّخصيَّاتِ الأُخْرى التي كَانَ لها أَثَرٌ عَظِيمٌ في بناءِ وعيهِ وتَحديدِ ملامحِ شَخْصِيَّتِهِ الثَّقَافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ، مِن هَذِه الشَّخْصيَّاتِ: سيدنا والعريف، وشيوخ الأَزهَر، وأصدقاء الدّربِ، وزُملاءُ الدّراسَةِ، وأمُّه وأبوهُ وإخوتهُ، وأساتذتهُ في باريسَ، وزوجه سُوزان، وولداهُ، وبعض السّاسةِ المؤثّرينَ في وقتِ كتابةِ النّصِّ

ويَبرزُ في رَسمهِ شَخصيَّاتهِ قُدرتهُ عَلَى الوَصفِ الخارجِيّ، كما تبرزُ هذه القدرَةُ أَكثَرَ حينَ يُقدِّمُ وَصفًا دَاخِليًّا، وهيَ شَخصياتٌ لدَيها القدرةُ عَلَى التَّعْبِيرِ عن الحدثِ بشَكلٍ مؤثّرٍ، كما أنَّهُ يستطيعُ التَّنقُّلَ بينَ الشَّخصياتِ انتقالًا سَريعًا، وهَذَا ما جعَلَ

---

(١) سحر سليمان عيسى، قراءات من المكتبة العربي، دار البداية ناشرون، ط١، ٢٠١٢م،٢٦٦.
(٢) طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،١٣/١
(٣) السَّابِقُ، ١٤/١
(٤) السَّابِقُ، ٢٥/١

أعمالَهُ تتحوَّلُ إلى نماذجَ أُسْلُوبيَّةٍ مميَّزةٍ، وشَخصيَّاتهُ إلى شَخصيَّاتٍ لاتُنسَى، وإن ظهرتْ نمطيَّةٌ في الشَّكْلِ أحيانًا؛ فإنَّها مُميَّزَةٌ من حيثُ الحدثُ الذي تقومُ بهِ في خِلَالِ النَّصِّ.

إنَّ الشَّخْصِيَّةَ المشكَّلةَ في مَبنَى الأيَّامِ تعبّرُ بالأساسِ عنْ وَاقِعِ شَخْصِيَّةِ السّاردِ نفسهِ؛ وذلكَ بانطلاقِها منَ الخارجِ إلى الدَّاخلِ.

ولَعَلَّ تفسِيرَ ذلكَ يعُودُ، فيما يَراهُ بَعضُ الباحِثينَ، إلَى أنَّ "طه حسن" كتبَ الأَيَّامَ في سنٍّ مُبكِّرَةٍ بعضَ الشَّيءِ؛ إذْ كانَ لا يتَجاوزُ سِنَّ الأَربعينَ[1].

وشَكَّلتْ شَخصيَّةُ الفتَى في الأَيَّامِ عَصَبَ الأَحْدَاثِ، انطِلاقًا من جوانبَ عدَّةٍ؛ منها التَّطَوُّرُ الفِكْرِيُّ والنَّفسِيُّ لِهَذِه الشَّخْصِيَّةِ، ثمَّ التَّموضُع المكانيّ لها بينَ الأَحْدَاثِ، وما شَكَّلَتْهُ منْ تَجَاوزٍ للمَاضِي؛ بحيثُ تظهرُ لنا شَخصيَّةُ الفتَى في بادئِ أمرِها عَلَى أنَّها شَخصيَّةٌ نَشَأتْ أَوثقَ اِرْتِبَاطًا بالبيتِ، وما حَولَهُ تنشُدُ الاستقرارَ، كما تنشدهُ في كيانها الدَّاخليّ غير المُصَرَّحِ عنهُ في أن تتركَ ما يدركُهُ النَّاسُ مِن حولِها؛ لكونِ الصَّبيّ مَكْفُوفًا[2] ليسَ لديهِ قُدْرةٌ عَلَى إدراكِ ما يدركهُ الآخرُونَ، ولا يستطيعُ ما يستطيعونَهُ، ولكنّ هَذِه الشَّخْصِيَّةَ تحدثُ لها تَحوُّلاتٌ جَوهَريَّةٌ بعدَ السَّفَرِ إلَى الأَزهرِ؛ كمَا وضَّحتُ آنفًا.

٣/٥- الكُرونُوتُوب بينَ العُنوَانِ ووِجهَةِ النَّظَرِ:

يُعَدُّ الكُرونُوتُوب/ الزَّمَكَانِيَّةُ من أهمّ مكوّناتِ النَّصّ السَّردِيّ، وقد أفضتُ الحديثَ في الزّمانيَّةِ في عرضي انتقالاتِ السَّاردِ عبرَ الأَزمنَةِ منَ الطُّفولةِ في القريةِ في الجزءِ

---

(١) أحمد علي، طه حسين السيرة الذَّاتيَّة، الوحدة مجلة فِكْرِيَّة وثقافية، المملكة المغربية، عدد١،مجلد ٦٢، ١٩٨٩م، ١٩٧.

(٢) طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،١/٢١.

الأوَّلِ إلى الكهولةِ في باريسَ، ولعلَّهُ صَاغَها منذُ اختيارِهِ العُنوانَ السّيريّ على طريقةِ الأيَّامِ؛ لذا لايُمْكِنُ تَجَاوُزُ قِرَاءَةِ العُنوَانِ، ونَحْنُ نَدرسُ السَّرْدَ السّيريّ؛ فَالعُنوانُ هُوَ المُبتَدَأُ الذي خَبَرُهُ نَصُّ السّيرةِ؛ فَالعُنْوَانُ هُوَ الهُويَّةُ المُحدّدَةُ لهُ، شأنُه في ذلكَ شَأنُ كلِّ الخطابَاتِ السَّرديَّةِ؛ "فالعُنْوَانُ هو الحَدُّ الفاصِلُ بينَ وُجودِهِ وعَدمِهِ، وفنائِهِ وامتلائِهِ؛ فامتلاكُ الرِّوَايَةِ عُنْوَانًا معناهُ أنَّها حَازَتْ كينونةً، ونَأتْ عَنِ الغَفلةِ والتَّغافُلِ؛ ولذَا صَارَ العُنْوَان أَخطَرَ البُؤرِ النَّصِّيَّةِ التِي تَشتَبِكُ مَعَ النَّصِّ، والمُتَلقِّي، والمُرْسِلِ، بشَكلٍ مُعَقَّدٍ، يُكتَبُ لَهَا فِي النِّهَايَةِ البَقَاءِ، أوِ النُّكُوصُ؛ ولِهَذَا كُلِّهِ سَعَتِ الدِّراساتُ الحَديثةُ حَثِيثًا للوُصُولِ إلَى نَظريَّةٍ للعُنْوَانِ" [١].

فالزّمانيَّةُ واضحةٌ منذُ كلمةِ الابتِدَاءِ في العُنوانِ، والمَكَانُ مُكونٌ أَسَاسٌ منْ مُكوّناتِ النصّ السّير ذاتيّ؛ إذ لا يُمكنُ تخيُّلُ وجودِ إنْسَانٍ دونَ وجودِ المَكانِ، ذلكَ أنَّ المكانَ أسبقُ في وجودِهِ منَ الوجودِ الإنْسَانِيّ وغيرِ الإنْسَانِيّ، ولهذا فإنَّ "إدراكَ الإنْسَانِ للزَّمنِ إدراكٌ غيرُ مُبَاشِرٍ، فهُو يتحقَّقُ من خِلَالِ فعلِ الإنْسَانِ وعَلَاقتِهِ بالأشيَاءِ، في حينِ أنَّ إدراكَ الإنْسَانِ للمَكَانِ إدراكٌ حسِّيٌّ مُبَاشِرٌ، وهُو يستمرُّ مع الإنْسَانِ طوالَ سِنِي حياتِهِ، وهَذَا ما يؤكِّد حميميَّةَ العَلَاقَةِ التي تربطُ بينَ الإنْسَانِ والمكانِ، فإنَّ وعيَ الإنْسَانِ بالمكانِ هو شكلٌ منْ أشكالِ وعيِهِ بذاتِهِ"[٢].

وفي نصِّ الأَيَّام نجدُ حِرصَ السَّارِدِ في نَصِّ الأَيَّام عَلَى أن يأتيَ بتفاصيلِ المَكَانِ، بدايةً من قريتِهِ التي عاشَ فيها وعانَى مِمَّا سَيطَرَ عليهِ منْ جَهلٍ وفَقرٍ، انتقالًا إلَى الأزْهرِ وما فيهِ من علمٍ وصِراعاتٍ، ثمَّ إلى السَّكَنِ في الرَّبعِ، وأثرِ ذلِكَ في

١- مُحَمَّد سيّد عليّ عبدالعال، النَّص الَّذي وَجَدَ ظِلَّهُ(عَتَبَاتُ النَّصِّ السَّرْدِيِّ الحَدِيثِ)، طنطا، مكتبة النابغة، ٢٠٢٢م، ٢٠٩.

(٢) نبيلة إبراهيم، خصوصية التشكل الجمالي للمكان في أدب طه حسين ، مجلة فصول ، م ٩ ، ع ١، ٢ ، ٤٩.

بناءِ القِصَّةِ التي أرَادَ أنْ يرصَدَها في الأَيَّام؛ لأنَّ المكَانَ لا يعزلُ في اِرْتِبَاطِهِ بوجهَةِ النَّظَرِ، عن باقي الأجزاء المكونةِ للنَّسِيجِ المكوِّنِ للقِصَّةِ أو الحدَثِ أو ما يُريدُ السَّارِدُ رَصدَهُ، بلْ يرتبطُ بالأَحْدَاثِ اِرْتِبَاطًا قَوِيًّا، كمَا يرتبطُ بالشَّخصيَّاتِ والزَّمَنِ؛ فالحدَثُ لا "يقدَّمُ سوى مصحوبٍ بجميعِ أَحْدَاثِيَّاتِهِ الزَّمَانيَّةِ والمَكانيَّةِ، ومن دونِ وجودِ هَذِه المُعطيَاتِ يَستحيلُ عَلَى السَّرْدِ أنْ يؤدِّيَ رسالتَهُ الحِكَائيَّةَ"(١). وقد تنوَّعَ السَّرْدُ تبعًا لتنوُّعِ المكانِ عَلَى مدارِ نَصِّ الأَيَّام، ولكنَّ هَذَا التَّنوُّعَ لم يَخلُ منْ دِقَّةِ الوَصفِ، ولا منْ تماسُكِ الحِكَايَةِ نَفْسِها؛ ممَّا يؤكِّدُ القُدرةَ الفذَّةَ لِطَه حُسَيْن في هَذَا الجانِبِ.

وقدْ جَاءَ تَوظِيفُ المَكَانِ في الأَيَّامِ عامِلًا مُسَاعِدًا لِمَا هَدفَ إليهِ طه حُسَيْن مِن نَقدٍ عامّ للمُجْتَمَعِ، انطلاقًا "مِن فِكرةِ محاولةِ التَّأثيرِ في مُجْتَمَعِهِ، لنَقلِهِ مِن حَالَةِ التَّخلُّقِ إلَى حَالَةِ التَّقدُّمِ، ومِن حَالةِ الذُّلِّ والاستكانَةِ والخُمولِ والجَهلِ والاستِبدادِ والظُّلمِ الإجْتِمَاعِيّ والجُمُودِ، إلى حالَةِ العِزَّةِ والكَرامةِ والنَّباهةِ والعِلمِ، والمُساواةِ والحُرِّيَّةِ الإجْتِمَاعِيَّةِ والازدِهارِ الاقتِصَادِيّ"(٢).

إنَّ المكانَ فضاءٌ رحبٌ ينشدُ فيه الإنْسَانُ ضالتَهُ، فضلًا عَلَى كونِهِ يحملُ دَلالاتٍ "انتمائيَّةً ونفسيَّةً ووجدانيَّةً وجماليَّةً، وعَلَى أرضِهِ تنشَأُ القيمَ الإنْسَانِيَّةَ وهُو مِحورُ النَّشاطَاتِ والأَحْدَاثِ التي تبدأُ بالبيتِ مكانِ الأُلفةِ. ويتبعُ ميدانَها إلى المحيطِ الخارجِيّ. كالفَضاءِ الذي يَضُمُّهُ"(٣).

---

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٣٢

(٢) على سعده "طه حسين، الوحدة في التنوع" مجلة الآداب، بيروت، آذار، مارس ١٩٧٤م، ١٢/١.

(٣) حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشِّعْر العباسي، دار الرضوان، عمان ط ١، ٢٦٩

وعندَ استقراءِ صُورِ المَكانِ في الأَيَّامِ نَجِدُ أنَّها قد تنوَّعتْ بتنوُّعِ الزَّمَانِ، وتنوُّعِ الثَّقافاتِ، اقتصَرَ بَعْضُها عَلَى الأَبْعَادِ المُستمَدَّةِ منَ البيئـةِ الرّيفِيَّـةِ المُجَرَّدَةِ، وبَعضُـها لهُ أَبْعَادٌ نفسِيَّةٌ أو رَمْزِيَّـةٌ، كالقنـاةِ والحُجرةِ التـي كـانَ يشعرُ فيها بالغُربـةِ والوَحشَـةِ، وهنـاكَ أمكنـةٌ أُخـرَى كالجـامعِ الأزهـرِ والجامِعـةِ؛ فقـد كـانَ لِكُـلٍّ مـدلولانِ: الأوَّلُ هـو المدلُولُ المُجَرَّدُ، والآخَرُ الرَّمزِيُّ الذي أرادَ السَّارِدُ أنْ يَجعلَنَا ندورُ في فلَكِ رَمزِيَّتِهِ.

٤- المَلامِحُ الأُسلُوبِيَّةُ لِنَصِّ الأيَّامِ:

٤/١- ضَمِيرُ الغَائبِ وحُضُورُ السَّارِدِ:

يُعَدُّ طَه حُسَيْن واحِدًا من أَعْلامِ الفِكْرِ العَرَبـيّ عَلَـى طُولِ تَارِيخِـهِ، وعَمِيدًا لـلأَدَبِ العَرَبِيِّ، سَعَى مِن خِلَالِ كِتَابَاتِهِ إِلَى اختِراقِ عالمِ السَّرْدِ القَصَصِـيّ؛ فقد اختلفتِ الآراءُ حـولَ رِيادتِـهِ السَّرديَّةِ علـى رَأْيـينِ رئيسـين؛ أَرجحُهمـا أنَّ سرْدَ الأيَّامِ جعلَ منـهُ رائـدًا يُحتذَى في الفنِّ السَّردِيِّ عامَّـةً، والسِّيريِّ خاصـةً، والآخَـر أنَّ السَّردَ الحديثَ لـهُ آبـاءٌ آخرونَ شَرعيُّونَ؛ أهمُّهم توفيق الحكيم في عَوْدةِ الرُّوحِ، لا طـه حسين في دُعـاءِ الكروانِ، وإن لم ينفِ هذا الرَّأيُ ما وصلَ إليه من درجةٍ رفيعَةٍ[1]؛ حينَ ألقَى حَجرًا يُحركُ الرَّاكِدَ في المُجْتَمَع، ويثيرُ تساؤلاتٍ وتـأمُّلاتٍ، فـي نفسِ قَارِئـهِ، ويَجعلُـهُ جُزءًا لا يَتَجزَّأُ مِن مَبنَى عالمهِ ومعناهُ، وبخاصَّةٍ نصُّ الأيَّامِ الذي واجَهَ إشْكاليَّةً تَجنِيسيَّةً؛ أَهُو رِوايةٌ أمْ سِيرةٌ ذاتِيَّةٌ، أم مقالاتٌ وصفِيَّةٌ؟

---

(١) يراجع، يوسف نوفل، الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٥م،٩٣.

وَهُوَ سُؤالٌ مُلِحٌّ، أَثارَهُ بَعْضُ الباحثينَ؛ منهُم حُسام الخَطِيب، وأَحمَد عليّ، وعبدالسَّلام المَسدِّيّ، وعبدالمُحسِن بدْر، ومحمد القاضِي،(١)، لأنَّ سارِدَ النّصِّ استطَاعَ بأُسْلُوبِهِ المميّزِ أنْ يَجمعَ بين شَخْصِيَّةِ الأديبِ وشَخصِيَّةِ القَارِئِ، فنَراهُ يَسْتخدمُ ضَمِيرَ الغائبِ ليُعطيَ قدرًا كافِيًا من المَوضُوعِيَّةِ عَلَى مَضْمُونِ سيرتِهِ، لأنَّه عَلَى علمٍ بأنَّ "الشَّخصَ الذي يروِي الحِكَايَةَ في آخرِ الأَمرِ، والشَّخصَ الذي تُروَى من أجْلِهِ، يَعتَمدُ كُلٌّ منهُما عَلَى الآخَرِ بطَرِيقَةٍ أو بأُخرَى، في كُلِّ سَردٍ"(٢)، وهِيَ سمةٌ أفرَدَتهُ عَمَّن سَبقهُ ولَحِقَه، وحفظتْ له سماتِ التَّجَدُّدِ والازدهارِ والارتقاءِ الدّائمةَ، مَعَ إنسَانيَّةِ المضَامينِ التي تدعُو إلى "التَّأسّي للمَحروبينَ والمَضَامِين، ووجُوبِ رفْعِ الحَيفِ والمَظلَمَةِ عنهم، هذهِ الخاصَّةُ؛ كمَا أَسمَاها يحيى حقي تتَجَلَّى في مَوْهِبةِ القُدرةِ عَلَى الجَذبِ، لاسِيَّما في أُسلُوبِهِ وطَرِيقتِهِ في نَضد العبارةِ؛ أيْ إنَّه يشوّق القارئَ ويسحرهُ بطراوةِ لغتِهِ وعذوبةِ بيانِهِ قبلَ أن يَستهوِيَهُ أداؤُه المكتنزُ بفحواهُ ومَضمونُهُ"(٣) ليظَلَّ قارئُهُ بمنأًى عنِ السَّأمِ والمَللِ دائمًا معَ مُتعةٍ ولذَّةٍ وفائِدةٍ.

١/١/٤- ضَمِيرُ الغائبِ وتَجرُّدُ السَّاردِ:

يُلَاحَظُ في نصِّ الأَيَّامِ اعتِمادُ السَّاردِ ضَمِيرَ الغائِبِ في فُصُولِ كِتَابِهِ، ولم يأتِ بِضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ إلَّا في الفصلِ الأخيرِ من الجُزْءِ الأوَّلِ، واعتِمادُ الكَاتِبِ ضَمِيرَ الغائبِ

---

(١) يُرَاجَعُ، شكري المبخوت، سيرة الغائب..سيرة الآتي، السيرة الذَّاتِيَّة في كتاب الأَيَّام لطه حسين، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط٣، ١٩٩٢م،٣٩-٤٠.

(٢) جيرالد برنس، مقدمة لدراسة المروي عليه، ترجمة علي عفيفي، مجلة فصول، صيف ١٩٩٣م، ٧٦ و،

Gerald Prince. Narratology، The Form and Functioning of Narrative, Mouton Publishers, Berlin. New York. Amsterdam, 1982, p، 17

(٣) مهدي شاكر العبيدي، طه حسين بين أشياعه ومخالفيه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٢٢م، ٦-٧.

إنَّما مَقصِدهُ إعطَاءُ نَوعٍ منَ المَوضُوعِيَّةِ والتَّجرُّدِ منْ إطلاقِ الأحكامِ عنْ ذاتِ الكَاتِبِ، كمَا اعتَمدَ طه حُسَيْن في سيرتِهِ الذَّاتِيّةِ "الأَيَّام" ضَمِيرَ الغائبِ، وذلكَ للتَّعبيرِ بكلِّ أَرْيحيَّةٍ عَن ما يُخالجُهُ، وقد فصلَ طه حُسَيْن بينهُ وبينَ سيرتِهِ؛ إذْ لمْ يُصرِّحْ عنْ نفسِهِ، حينَ استعانَ في سَردِهِ بـ (الرَّاوِي الغائبِ) الذي استطاعَ إيصالَ أفكارِهِ وإبداعاتهِ في غيابِ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ.

وقدْ حَالَ ضَمِيرُ الغائبِ دونَ الرُّؤْيَةِ الحيَّةِ للعالمِ الذي يعيشُ الرَّاوِي فيهِ، ويعوقُ المشاركةَ المُبَاشِرةَ، إنَّما يرتّبُ تِلْكَ العَلَاقَةَ عبرَ وسيطٍ، ولا تبدُو الوَساطةَ في السَّرْدِ الذَّاتِيّ محلَّ تقديرٍ كبيرٍ لمَا تُسبِّبهُ من أَبْعَادٍ بينَ الذَّاتِ وموضُوعِها، فاستخدامُ ضَمِيرِ الغائبِ يُتيحُ للرَّاوي الحَديثَ عن نَفسهِ عَنِ العَالمِ، وكَأنَّهُ شَخْصٌ آخرَ؛ إذْ إنَّ التَّعْرِيفَ بالرَّاوِي نجدهُ في السِّيرَةِ الذَّاتِيّةِ، وباستخدامِ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ نتيقَّنَ بأنَّ الكَاتِبَ عايشَ الأَحْدَاثَ، وُيمْكِنُنا مِن تَصْديقِهِ، ولوْ بشكلٍ ضَعِيفٍ عَلَى عَكسِ غيابِهِ، وبذلكَ يُشَكِّلُ لنَا نَوعًا منَ التَّخوُّفِ في نَقلِ الأَحْدَاثِ وطَرِيقَةِ صِيَاغةِ الحِكَايَةِ.

إنَّ استِخدامَ الكَاتِبِ ضَمِيرَ الغَائِبِ زَادَهُ غموضًا؛ إذْ لمْ تُظهرْ مَعَالمُ السِّيرَةِ الذَّاتِيّةِ ميثاقَ السِّيرِ الذَّاتِيّ مِن خِلَالِ سَردِ الأَحْدَاثِ، ونقَلَ محطاتِ حياتِهِ التي عاشَها مُنذُ طُفولتِهِ إلى فَترةِ شَبابِهِ أَو أكثَرَ، عَلَى عَكسِ الاستعانةِ بضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ الذي يؤكِّدُ حُضُورَ الرَّاوِي المُبَاشِرَ أثناءَ سَردِ الأَحْدَاثِ؛ إذْ إنَّ المُتَلَقِّي يعيشُ الحدثَ أو اللَّحْظَةَ ويتأثَّرُ بِهَا[1].

(١) عبد الله إبراهيم، الغائب في كتاب الأَيَّام للدكتور طه حسين، مجلة الرياض، عدد: ١٦٩٧٣، ٢٣ مايو ٢٠٢١م.

٤/٢- الطَّفرةُ الأُسْلُوبيَّةُ وتغيُّرُ الحَدثِ والوَصف:

يُلَاحظُ في الفَصْلِ الأَخِيرِ منَ الجُزْءِ الأوّل أنَّ طَه حُسَيْن ولأوَّلِ مَرَّةٍ في كِتَابهِ يَعدِلُ عن ضَمِيرِ الغائبِ ويتكلَّم بصفتهِ المتحدّث، وهَذِه لفتةٌ تبيّنُ إلى مدًى بعيدٍ تمكُّنَهُ من أدواتهِ، فتغييرُ الضَّمِيرِ هُنا أعطاهُ حُرِّيَّةَ الحديثِ معَ أحبِّ النَّاسِ إليهِ؛ وهيَ ابنتهُ، عن أقربِ النَّاسِ إليهِ؛ وهي زوجُهُ التي دانَ لهَا بالفَضلِ.

ويُمثِّلُ هَذَا الفَصلُ المَدخلَ إلى حلِّ الكثيرِ منَ الإشْكَالِيَّاتِ الفَنِّيَّة؛ حيثُ عرَّفَ للمرَّةِ الأولى بجِنْسِ السَّاردِ، وأماطَ اللِّثامَ عنهُ، فأزالَ عن القَارِئ غموضَ صَاحبِنا والصَّبيّ، إلى ذاتِ الكَاتِبِ وشخصهِ، وأبانَ للمرَّةِ الأُولى لابنتهِ عن شَخصِهِ وذاتهِ.. فيخاطبُها ليفصِحَ عن بعضِ سماتهِ المميّزةِ لهُ" إنَّكِ يا ابنتي لسَاذجةٌ سليمةُ القلبِ، طيّبةُ النَّفسِ، أنتِ في التّاسعةِ من عُمركِ، في هَذِه السِّنّ الّتي يُعجبُ فيها الأطفالُ بآبائِهِم وأُمَّهاتِهِم" (١).

فكانَ "حينَ أُرسلَ إلى القَاهِرَةِ ليختلفَ إلى درُوسِ العِلمِ في الأَزهَرِ، أنْ كانَ في ذلكَ الوقتِ لصَبيَّ جِدٍّ وعَملٍ. كانَ نَحيفًا شاحبَ اللَّونِ مُهملَ الزِّيِّ أقرب إلى الفقرِ منهُ إلى الغنى، تقتحمهُ العينُ اقتحامًا في عباءتهِ القذرةِ وطاقيتِهِ التي استَحالَ بياضُها إلى سوادٍ قاتمٍ، وفي هَذَا القَميصِ الذي يبينُ أثناءَ عباءتهِ، وقدِ اتَّخذَ ألوانًا مختلفةً من كثرةِ ما سقطَ عليهِ من الطَّعامِ، وفي نعليهِ الباليتينِ المُرقَّعتينِ. تقتحمهُ العينُ في هَذَا كلِّهِ؛ ولكنَّها تَبتسِمُ لهُ حين تراهُ، عَلَى ما هُوَ عليهِ من حالٍ رَثَّةٍ، وبصَرٍ مَكْفُوفٍ، وَاضِحَ الجبينِ، مُبتسِمَ الثَّغرِ، مُسرعًا مع قائدهِ إلى الأزهَرِ، لا تختلِفُ خُطَاهُ، ولا يترَدَّدُ في مِشيتهِ، ولا تَظْهرُ عَلَى وَجهِهِ هَذِه الظُّلمَةُ التي تَغشَى عادَةً وُجوهَ المَكْفُوفينَ. تقتحمُهُ العينُ، ولكِنَّها تبتسِمُ لهُ، وتلْحَظُهُ في شيءٍ منَ الرِّفقِ، حينَ تراهُ في حلَقَةِ

(١) طه حسين، طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،١/١٣٢.

الدَّرسِ، مُصْغيًا كلّه إلى الشَّيخِ يلتهمُ كَلَامَهُ التهامًا، مُبتَسمًا معَ ذلكَ لا مُتألّمًا ولا مُتبرّمًا، ولا مُظهرًا ميلًا إلى لَهوٍ؛ بينما الصِّبيانُ مِن حَولِهِ يلهونَ أو يَشْرئبُون إلَى اللَّهوِ"[١].

وكَأنَّهُ يرَى أنَّ الأدبَ الجَديرَ بهَذَا الاسمِ هوَ الذي يروعُ السَّمعَ ؛كما يروعُ القلب في آنٍ واحِدٍ؛ وهُو لذلكَ يُوفِّر لصَوتِهِ كُلَّ جَمالٍ مُمكنٍ. ومنَ الغريبِ أنَّه لا يعدِّلُ عبارةً يُمليها، ولا يعدُّ محَاضِرةً قبل إلقائِها، فقدْ أصبحَ هَذَا الأُسْلُوبُ جزءًا من نفسهِ وعقلهِ، فهُو لا يُملي ولا يُحَاضِرُ إلَّا بهِ، وكثيرًا ما تجدُ فيهِ الألفاظَ المكرَّرةَ، وهوَ يعمدُ إلى ذلك عَمدًا؛ حتَّى يَستتِمَّ ما يُريدُ منْ إيقاعاتٍ وأنغامٍ، يَنفذُ بها إلى وِجدانِ سَامِعِهِ وقَارِئِهِ..."[٢].

ثُمَّ راحَ يَطرحُ استِفهاماتٍ عليها بصيغةِ المُتَكَلِّم فقالَ: "فإنْ سألتِني كيفَ انتهَى إلى حيثُ هو الآن؟ وكيفَ أصبحَ شكلهُ مقبولًا لا تقتحمهُ العينُ ولا تزدريهِ؟ وكيفَ استطاعَ أن يهيِّئَ لكَ ولأخيكِ ما أنتُما فيهِ مِن حَيَاةٍ راضيةٍ؟ وكيفَ استطاعَ أن يثيرَ في نفوسِ كثيرٍ من النَّاس ما يثيرُ مِن حَسَدٍ وحقدٍ وضَغينةٍ، وأن يثيرَ في نفُوسِ ناسٍ آخرينَ ما يثيرُ مِن رضًا عنهُ وإكرامٍ له وتَشْجيعٍ؟ إن سَألتَ كيفَ انتقلَ من تِلْكَ الحالِ إلى هَذِهِ الحالِ ... فلسْتُ أستطيعُ أن أجيبَكَ! وإنَّما هناكَ شَخصٌ آخرُ هو الذي يَستطيعُ هَذَا الجوابُ، فَسَليهِ يُنبئْكِ. أتعرفينهُ؟ انظُري إليه! هو هَذَا المَلَكُ القائمُ الذي يَحْنُو عَلَى سَريرِك إذَا أمْسَيتِ لتَستقبِلِي اللَّيلَ في هدُوءٍ ونومٍ لذيذٍ، ويحنُو عَلَى

---

(١) طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،١/١٣٥.

(٢) الأَيَّام لطه حسين النص المؤسس لأدب السيرة الذَّاتِيَّة، ٠٦ نوفمبر ٢٠٢١، https،//www.omandaily.om

https،www.omandaily.om///ثقافة/na/مرفأ قراءة.

سَريركِ إذا أصبحتِ لتَسْتقبلِي النَّهَارَ في سرورٍ وابتهاجٍ، ألستِ مدينةً لهَذَا المَلَكِ بما أنتِ فيه من هدوءِ اللَّيلِ وبهجةِ النَّهَارِ؟!"[1].

وكأنَّهُ أرادَ الكشفَ عن شخصيتهِ ليعبّرَ ويعترفَ بالفضلِ لزوجتهِ التي غيَّرت مَجْرَى حياتهِ، ويبيّنُ أَثَرَ وجُودِ أُمِّهَا في حَياتهِ مُمتنًّا لها بما قدمتهُ، وما غيَّرتهُ منهُ ومن حياتِه، فَيَصفُها بالملَاكِ؛ فيقولُ: "لقدْ حنَا يا ابنتِي هَذَا الملَكُ عَلَى أبيكِ، فبَدَّلهُ مِن البؤسِ نَعيمًا ومنَ اليأسِ أملًا ومنَ الفقرِ غنًى ومنَ الشّقاءِ سَعادةً وصَفوًا". ثمّ يذكرُ عاهتَهُ ذكرًا يُثيرُ الشَّفَقَةَ عندما يشبّهُ نفسَهُ بأوديبَ الذي مضَى في طريقهِ بلا بصرٍ "رأيتكِ ذلكَ اليومَ تَسْمعينَ هَذِه القِصَّةَ مُبتهجَةً من أوّلِها، ثُمّ أخذَ صَوتُكِ يتعثَّرُ قَلِيلًا قَلِيلًا. وما هِيَ إلَّا أَنْ أَجْهشْتِ بالبُكَاءِ، وانكببت عَلَى أبيكِ لثمًا وتقبيلًا، وفَهمتْ أمُّك وفهمَ أبُوك، وفَهِمتُ أَنَا أيْضًا أنَّكِ إنَّما بَكَيْتِ لأَنَّكِ رَأيتِ أُوديبَ المَلِكَ كأَبيكِ مَكْفُوفًا لا يُبصِرُ"[2].

وَبالرَّغمِ من قِصَرِ هَذِهِ الإشَارَاتِ بالنِّسْبَةِ لِمُحْتَوَى النَّصِّ، فَإنها ذاتُ أَهَمِّيَّةٍ كُبْرَى، نظرًا لأنَّها تَطرحُ العَلَاقَةَ المُمْكِنَةَ بين شخصِ الكَاتِبِ والرَّاوي، والشُّخُوصِ عَلَى مدارِ النَّصِّ.

٤/٣- الإيقَاعِ الصَّوتيّ بينَ الأُسلوبِ والمُحتَوى:

لقَدْ تبوَّأَ طه حُسَيْن بفضْلِ أُسلُوبِهِ الفذِّ الفَرِيدِ الذي سَيْطرَ عَلَى كُلِّ إنْتَاجِهِ الأَدَبِيّ الصَّدَارَةَ بينَ أَبْنَاءِ جِيلِهِ، والأجيالِ التَّاليةِ إلَى يومِنا هَذَا؛ إذِ احتفظَ بِحُضُورهِ الوَاضِحِ المكثَّفِ في أَدَبِهِ بِمُختَلفِ مَراحِلِهِ؛ وهُو ما شَكَّلَ ظَاهِرةً تَستَحِقُّ الدِّرَاسَةَ والكَشفَ عَن دَلَالَاتِها، وعَلَاقتِها بالطَّابعِ الشَّفهيّ الذي ميَّزَهُ في كِتَابَاتِهِ، وهُوَ ما حاولَ

(١) طه حسين، طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ،١/١٣٧- ١٣٨.
(٢) السَّابِقُ، ١/١٣٨.

أيمن بكر تفسيره بالحضُورِ المَعرفيِّ المُمْتزجِ بالحُضُورِ الإنسانِيِّ؛ فإنّ "فِكرةَ حضُورِهما معًا في النَّفسِ المُبدِعَةِ على ما بَينهُما من اِختلافاتٍ في مُحَاولةِ فَهمِ تَجربتِه"[١] وقد تسمحُ دراسةُ هَذِه الظَّاهِرةِ بإدْخالِ مِسَاحَةٍ كبيرَةٍ منْ أَدبِنا العَرَبِيّ الحَدِيثِ، حيثُ تَمَيَّزَ في (الأَيَّامِ) بتَحْوِيلِ الضَّمِيرِ مِنَ المُتَكَلِّم إلى الغَائبِ فَعَكَسَ بذلكَ الرَّغْبَةَ في الخُرُوجِ من أَسرِ مُعَانَاتِهِ، ولَصْقِها بغيرِهِ، عَلَى وَجهٍ افتراضيٍّ؛ فاستَخدمَ اللُّغَةَ ذَاتَ الطَّابعِ الشَّفهِيّ، ليَجْمعَ بينَ هاجِسِ الحديثِ والمُحدَّثِ عنهُ الذي لا يفتأُ يلحُّ عليهِ؛ فتحققَ لأسلوبِهِ إيقاعٌ صوتي" حيثُ تُحسُّ الأذنُ بِعذبِ نَغمتِهِ الصَّوتيَّةِ المنبعثةِ منه؛ فيصلُ بها عند قارئِهِ إلى المتعةِ والمتابعةِ، وبفضلِهَا تظلُّ له السَّيطرةُ فلا مَلَلَ ولا نُفورَ"[٢].

ظلَّ هذَا التَّأثيرُ الصَّوتيُّ وسيلتَهُ الأولَى لاستِيعابِ العالمِ من ناحيةٍ، وللتَّأثيرِ فيهِ من ناحيةٍ أُخرَى، ولم تكنْ مُصَادفةً أن يكونَ لصوتِهِ، حين يحَاضِرَ أو يتحدَّث، أثرهُ السَّاحرُ في نفوسِ مُعَاصِريهِ. ولا تَنفصلُ مركَزِيَّةُ الصَّوتِ هَذِه عنْ لُغَتِهِ ذَاتِ الطَّابعِ الشَّفهيِّ، بإيقاعِها المَعهُودِ، وتكراريتِها المُلحَّةِ، وصِيغِها التي يَسْهُلُ حفظُها، وذلكَ المُخاطَبُ الذي يمثِّلُ أَمامَنا في كلِّ جملةٍ[٣]، وهُو ما كانَ تأثيرهُ أَوقعَ في نصِّ الأيّامِ الذي أتاحَ لهُ مساحةً أكبر للذّاتيّ على الموضُوعيّ، والإنسانيّ على المَعرفِيّ.

---

(١) أيمن بكر، هوامش العميد(ملامح التجربة المعرفية عند طه حسين)،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٣م،٢٠.

(٢) البدراوي زهران، أسلوب طه حسين، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٨م،٤٢.

(٣) والتر أونج، الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين(عالم المعرفة١٨٢) الكويت١٩٩٤، د.ت، ٩٠-١٠٠. وعز الدين اسماعيل ، أنا المُتَكَلِّم طه حسين، مجلة فصول ، القاهرة، اكتوبر ١٩٩٩م

٤/٤- البِيئَاتُ اللُّغويَّةُ وأَثَرُها في نَصِّ الأَيَّام:

حينَما نَتناوَلُ نَصَّ الأَيَّامِ مِن حَيثُ الأُسْلُوبُ اللُّغويُّ الذي اتَّبعَهُ السَّارِدُ، نجِدُ أَنفُسَنَا في حِيرةٍ مِن أمرِنا؛ فالحَدِيثُ عنْ أُسْلُوبِ سردِهِ هُنَا ليسَ أمرًا سَهلًا، وما تِلْكَ الحيرةُ وعدمُ السُّهولةِ في التَّناوِلِ إلَّا لِمَا يَتمَتَّعُ بهِ من تنوُّعٍ فِكْرِيٍّ ولُغوِيٍّ، مُتأثِّرًا في ذلكَ بثقافاتٍ واسِعَةٍ؛ فقد كان تأثُّرُهُ بالثَّقافةِ العربيَّة التُّراثيَّةِ واضِحًا، من حيثُ استعارةُ الجملِ، والتّعبيراتِ، والزّج ببعضِ التّعبيراتِ الشّعريّةِ التي يَستَعِيرُها مِنَ الشِّعْرِ القَديمِ، وهُو ما يتَجلَّى أَيضًا في التّشبِيهَاتِ والاستِعَارَاتِ والكِنايَاتِ وبَعْضِ أَلْوَانِ البَديعِ المُخْتلفةِ التي جَعلتْ أُسلُوبهُ مُتميِّزًا وفرِيدًا، ولكنّهُ يظلُّ دَليلًا على فِكرتِهِ، ولعَلَّنا لَاحظْنا ذلكَ كلّهُ فيما اقتَطعناهُ آنفًا من نَصِّ الأيَّامِ[١].

يمتازُ هذا الأُسْلُوبُ بأنَّهُ ذُو أُسْلُوبٍ مُتميِّزٍ، يَرْجِعُ في المقامِ الأوَّلِ إلى تعليمِهِ الأزهريِّ، وتأثُّرِهِ بالقرآنِ الكريمِ والثَّقافةِ الإسلاميَّةِ الخصبَةِ، التي شكَّلتْ جُزْءًا كَبيرًا من شَخْصيَّتِهِ الفِكْريّةِ، فنجِدُ للكَلِمَةِ عندهُ قدرةً عَلَى التَّعْبِيرِ الدَّقيقِ عنْ عاطفتهِ وفِكرِهِ، في أُسْلُوبٍ أَدَبِيّ يمتازُ بالتَّوازنِ والجاذبيَّةِ في آنٍ واحدٍ.

وبما كانَ هَذَا سببَ تِلْكَ الملَكةِ الأَدَبِيَّةِ، أَنَّهُ فقدَ القُدرةَ عَلَى الإبصارِ، فاستعاضَ عن ذلك بالرَّغْبَةِ في التَّأَثُّرِ في قُرَائهِ بكلمَاتهِ، فاعتنَى بأُسْلُوبهِ عنايةً فائقةً، فكانَ في كِتَابَاتهِ يَمِيلُ إلى اللُّغَةِ الشِّعْريَّةِ أكثرَ منَ النَثْريَّةِ، كانَ في قَصصِهِ يكتبُ لا كقَاصٍّ، وإنَّما يكتبُ كَشَاعرٍ، ممَّا يَجعلُنا "بحاجةٍ إلى عينٍ تَسمَعُ أَنّهُ أشبهُ بالقصيدةِ الشِّعْريَّةِ الطَّويلَةِ التي تنَاقَلَتْها الأجيالُ جيلًا بعْدَ جيلٍ"[٢].

---

(١) يراجع، محمد نجيب التلاوي، طه حسين والفن القصصيّ، القاهرة، دار الهداية للنشر والتوزيع،١٩٨٦م،٢٦٨.

(٢) أنجيل فانييه، طه حسين وأَسرار اللَّيل، مجلة المعرفة، العدد ١٥٣، ١ نوفمبر ١٩٧٤م، ١٦٧.

ومع هَذَا التَّميُّزِ نجدُ أن أُسْلُوبَهُ في الأَيَّامِ جاءَ أكثرَ براعَةً عَن كافّةِ كِتَابَاتِهِ، وفاقَها بشَكلٍ كَبيرٍ، وربَّما كانَ ذلك للرَّغبةِ الشَّخْصِيَّةِ منهُ في إعْطَاءِ صُورةٍ تَفْصيليَّةٍ لكلِّ جزئيَّةٍ من جزئيَّاتِ حياتِهِ، ورصْدِ أدقِّ التَّفاصيلِ لمَا يذكرُهُ، ليعطِيَ صُورةً حيَّةً يَلْمسُها مَن يقْرَأُ الأَيَّامَ؛ فجاءت لغتهُ مناسبةً للُغَةِ عَصرِهِ، موائمةً لَهُ، تَتَرَاوَحُ بينَ الفُصْحَي واليُسْرِ اللُّغويّ الذي يَستَسِيغُهُ المتذوّقُ للأدبِ، وجَاءَتْ لغتُهُ مُرتَبطةً بالثّقافَةِ القوميّةِ والنَّزعةِ الإنْسَانِيَّةِ، تُناسبُ الشَّخصيّاتِ التي أتَى بِها في الأَيَّامِ.

تمتَّعَتْ لُغَتُهُ بوضُوحٍ من منبعينِ مُختلفينِ: من لُغَةِ التّراثِ العَرَبِيّ التي ثقفَها في الأزهَرِ، ومنَ الجاحظِ عَلَى وجهِ الخُصُوصِ: ذلكَ المُحدّثُ القديمُ الذي يتعلَّم منهُ ويُحاكيهِ؛ ومنْ منهجيَّةِ الفِكرِ الغَربيّ، ومنطقيَّةِ لُغَتِهِ التي اتَّصَلَ بها اتِّصَالًا عَمِيقًا. ومن هَذَا المزيجِ اكتسَبَ ظاهرُ لُغتهِ الإيقاعَ الرَّنَّانَ، وباطنُهَا المَكْرَ المَليءَ بالصِّرَاعاتِ. وهَيَ صفةٌ تجمعُ بينَ النّاقدِ والأديبِ وتوحِّدُ بينَهما [١].

(١) جابر عصفور، المرايا المتجاورة، ٤١٥.

الخَاتِمَةُ

سَعَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةٍ بنيويَّةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ لنَصِّ الأَيَّامِ إلى التَّأكيدِ على أنَّهُ نصٌّ إشكاليٌّ مراوغٌ بين الرّوايَةِ والسِّيرَةِ الذَاتيَّةِ، أَملاهُ السَّارِدُ بِشَكْلٍ فنِّيٍّ مُبدِعٍ، مازالَ في حاجةٍ إلى مزيدٍ من الدّراساتِ المعمّقَةِ، ومِمّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكِ ما أَكَّدهُ النُّقَّادُ عَلَى تِلْكَ المقدرَةِ الأُسْلُوبِيَّةِ الفذَّةِ، التي استطَاعَ أنْ يُوظِّفَها في كِتَابَاتِهِ، وفي نَصِّ الأَيَّامِ بشكلٍ خاصٍّ، كمَا جاءَ سردُ الأَحْدَاثِ بشَكلٍ عَجيبٍ، يَعجزُ كثيرٌ منَ المُبصِرينَ أن يأتوا بمثلِهِ، فقد اعتمدَ عَلَى حَواسِّهِ التي عوَّضَهُ اللهُ بهَا عَمَّا فقَدَهُ منْ قُدرةٍ عَلَى الإبْصَارِ، إلَّا أنَّهُ أبدلَهُ هَذَا البَصَرَ بَصِيرةً نافِذَةً وحِسًّا مُرهفًا، مكَّنهُ منْ أنْ يتبوَّأَ عِمادةَ الأَدبِ العَرَبِيّ، وحتّى لا نقعَ في فخِّ الإنشائيّةِ؛ فقد بنيت هذهِ الدّرَاسَةُ على البنيويَّة الأسلوبيَّةِ، وتبيَّنَ من خِلَالِ الدّراسَةِ الآتي:

- ريادةُ طه حُسَين لأدبِ السِّيرَةِ الذَّاتِيّةِ في العصرِ الحديثِ، بعدما ظلَّ لعقودٍ في طيّ النِّسيانِ؛ إذْ ظلَّتِ الكِتَابَاتُ الإبداعِيَّةُ في السِّيرَةِ الذَّاتِيّةِ خِلَالَ هَذِه المدَّةِ كِتَابَاتٍ قليلةً، وضَعِيفةً، وفقيرةً من حيثُ المُحْتَوَى السَّرديّ، نظرا لضيقِ هامشِ الحُرِّيَّةِ الإبداعيَّة والفِكْرِيّةِ والإجْتِمَاعِيّةِ، وحاجةِ هذا الجنسِ الأدبيّ إلى قدرَاتٍ خاصَّةٍ.
- مثَّل نصُّ الأَيَّام لطه حُسَيْن رافدًا إبداعيًّا جديدًا لفنِّ السِّيرَةِ والرِّوَايَةِ عَلَى حدٍّ سَواءٍ؛ نَظَرًا للتَّداخُلِ واللَّغطِ الدَّائرِ حولَ جِنْس الأَيَّامِ بينَ النُّقَّادِ؛ لمَا أثارتهُ هَذِهُ السِّيرَةُ من آراء نَقْدِيَّةٍ حولَ تَجنيسِها؛ ممَّا جعلَها محطًّا للدِّراسَةِ عَلَى مُستوياتٍ مُتعدِّدةٍ؛ فقدْ أراد طه حُسَيْن أن يُوقِظَ قومَهُ إلى مُعاناةٍ، عاشَها هُو وغيرُهُ، من خِلَال فهمهِ لمُكتسباتِ العصرِ، وتطرُّقِهِ لقَضَايَا الوطنِ الذي كانَ هو وأهلهُ بعضَ فُقَرائِهِ، وقدَّمَ في ظِلِّ مُعاناتِهِ في سَبيلِهِ جُلَّ كِتَابَاتِهِ.

- يمثّلُ نصّ الأَيَّام لطه حُسَيْن تيارًا لِلوعي ضدَّ الجهلِ والخُرافةِ، ذلك الجهلُ الذي أَفقدهُ بصَرَهُ؛ فأضَاءَ بصِيرتَه، فَعَمدَ من خِلَال الأَيَّامِ أن يدقَّ ناقوسَ الخطَرِ في

وِجْدانِ الأُمَّةِ، منبِّهًا إيَّاها أنْ هناكَ الكثيرينَ مِمَّنْ يعانونَ ما عاناهُ، ووجبَ عليهِ الأخذُ بأيديهِم، ومدُّ يدِ العونِ لهُم حتَّى لا ينالُهم ما نالَهُ مِن ألمٍ ومُعاناةٍ.

-عَمَدَ السّاردُ إلَى تَقْدِيمِ تَجَارِبِهِ الذّاتيَّةِ بوُضُوحٍ ويُسْرٍ وشَحْنٍ إبستمولُوجيّ وسيكولُوجيّ؛ بحَيثُ لم تَخلُ في النِّهَايَةِ مِنَ المُتْعَةِ والإبْدَاعِ، وانطِلَاقًا من مفهومِ المرَايا المُتَجَاوِرَةِ؛ الذي يرَى النَّصَّ السِّير ذَاتِيّ مِرآةً لِسِيرَةِ صَاحِبِهِ الشَّخْصِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ.

- ولأنَّ كُلَّ نَصٍّ هُوَ في الحَقِيقةِ سَبَبٌ لأَسْبابٍ سَابقَةٍ عليهِ في الوُجودِ؛ فهُو صُورةٌ لأصُولٍ قبليَّةٍ تُوازيهِ؛ أي إنَّهُ لا يَتَشَكَّلُ مِن فَرَاغٍ، بَل يَنْشَأُ عَن حَاجَاتٍ مُلحَّةٍ ذاتيَّةٍ واجتِماعيَّةٍ؛ ومِن هذا المُنطلقُ دَرَسْتُ:

- مَولدَ السَّاردِ ونَشأَتَهُ وأثرَهُما في نَصِّ سِيرَتِهِ، والبِيئَةَ القَرَوِيَّةَ وأثرَهُا في تَشْكِيلِ السَّارِدِ، حتّى نِهَايةُ صَاحِبِ السِّيرَةِ، ثمَّ دَرَسْتُ سَاردَ السِّيرةِ أَديبًا.

- فتنَاولتُ نصّ الأيَّامِ دِرَاسَةً بنيويَّةً؛ فدرستُ سببَ كتابتِهِ لهذهِ السّيرةِ، والعلاقَةَ بينَ نَصِّ السِّيرَةِ وإنتاجِهِ وشَخْصِيَّتِهِ، وإنتاجَهُ الأَدَبِيَّ بينَ السّيريّ والواقعيّ.

- توقفَ البحثُ أمام التَكْوِينِ البنيويِّ لنصّ الأَيَّامِ؛ فوجدَ أنّ الحِكايةَ السَّرديَّةَ لنصِّ الأَيَّامِ تَمُورُ بينَ الذَّاتيّ والموضوعيّ.

- جاءَ التَّقسِيمُ الشَّكْليّ للكِتَابِ مُتجاوبًا مع تطوّر الحدثِ والشَّخصيَّاتِ والكُرونوتُوب؛ فَحَدثَ التَّمَاهِي بينَ بِنْيَةِ الأَجزاءِ وتصادٍ بينَ الحَدثِ والسَّارِدِ.

- سيطرتْ تِقنيَةُ الاسترجاعِ على آليَّاتِ السَّرْدِ في نصّ الأَيَّامِ؛ فجَاءَ الجزءُ الأوّلُ صَدًى لِحياتِهِ في القَريةِ، وَأثرِ الأُسْرةِ في تَكْوينِ شَخْصِيَّةِ الفتَى السَّارِدِ، وفي حين اتّسمَ الجُزْءُ الثَّانِي بالانتِقالِ الحُرِّ بينَ الشَّخصيَّاتِ.

- أتتْ بنيةُ المَكَانِ معتمدةً على التَّفاصِيلِ، بدايةً من قريتِهِ التي عاشَ فيها وعانَى مِمَّا سَيطَرَ عليهِ منْ جَهلٍ وفَقرٍ، انتقالًا إلَى الأزْهرِ وما فيهِ من علمٍ وصِراعاتٍ،

ثمَّ إلى السَّكَنِ في الرَّبعِ، وأثرِ ذلِكَ في بناءِ القِصَّةِ التي أرَادَ أنْ يرصَدَها في الأيَّام؛ لأنَّ المكَانَ لا يعزلُ في اِرْتِبَاطِهِ بوجهَةِ النَّظَرِ؛ فرَصَدَ الجُزْءُ الثَّالِثُ فترةً جَدِيدَةً من حياتِهِ، مثَّلتِ الصِّرَاعَ الفِكْرِيَّ في أقصَى درجاتِهِ، حيثُ كانتِ المُوَاجَهَةُ عَلَى أشدِّها في سبيلِ التَّجْدِيدِ والانفتاحِ، والانتقالِ إلى عالمٍ جديدٍ؛ هو فرنسا المتمثِّلةُ في ثقافتِها التي طبَعتْ فكرَهُ إضَافةً إلى ثقافتِهِ العَرَبِيّةِ، والصّراع بينَ الثّقافتينِ الشّرقيّة والغَربيَّةِ.

- درسَ البحثُ إشكاليّة بناءِ النّصّ بينَ السِّيرَةِ الذَّاتِيَّةِ والرِّوَايَةِ؛ فوجدَ أنّ البنيةِ الرّوائيّة جاءتْ واضحةً حتّى أعلنَ السّاردُ عن نفسهِ لينحازَ النّصُّ إلى البنيةِ السّيريّةِ.
- برزَ في رَسمهِ شَخصيَّاتهِ قُدرتُهُ عَلَى الوَصفِ الخارِجِيّ، وبَرزَتْ هذه القدرَةُ أَكثَرَ حينَ يُقدِّمُ وَصفًا دَاخِلِيًّا، وكانتْ شَخصياتُهُ لَها القدرةُ عَلَى التَّعْبِيرِ عنِ الحدَثِ بشَكلٍ مؤثّرٍ، كما استطَاعَ التَّنقُّلَ بينَها انتقالًا سَريعًا؛ مِمَّا جَعَلَ أعمالَهُ تتحوَّلُ إلى نماذجَ أُسْلُوبيَّةٍ مميَّزَةٍ، وشَخصيَّاتهُ إلى شَخْصِيَّاتٍ لاتُنسَى.
- انتَقَلَ البَحثُ إلَى دِرَاسَةِ النَّصِّ السِّيرِيّ دِرَاسَةً أُسْلُوبيّةً، وخَرجَ بِنتَائِجَ؛ أَهَمُّها:
- أثَّر ابتِداعُهُ ضَميرَ الغائبِ تأثِيرً فاعِلًا في حُضُورِ السَّارِدِ، كما أدّى إلى تَجرُّدِ السَّارِدِ، وجراته في سرده السّيريّ.
- لاحظتُ أنّ لكلِّ انتقالٍ بينَ الفصولِ طَفرةً أُسْلُوبيَّةً تَتَجَاوَبُ مَعَ تَغيُّرُ الحَدَثِ والوَصْفِ.
- كانَ للإيقَاعِ الصَّوتيّ لأُسلوبِ السَّارِدِ تناغمٌ مع المُحتَوى.

- المَصَادرُ والمَراجِعُ:

أولًا: المَصَادرُ:

- طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ، ثلاثة أجزاء، الطبعة الثَّالِثة والعشرون، القاهرة، دار المعارف، القَاهِرَة.
- طَهَ حُسَيْن، الأَيَّام، طبعة مؤسسة هنداوي، القَاهِرَة، ٢٠١٣م.
- طه حسين، كِتَاب الأَيَّام ،القَاهِرَة مؤسسة الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢م.

ثانياً: المَراجِعُ:

١- المراجع العَرَبِيّة:

- إبراهيم عبدالعزيز، أوراق مجهولة للدكتور طه حسين، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٧م
- أحمد سويلم، عباقرة الإرادة والصَّبر، القاهرة، دلتا للنشر والتوزيع،٢٠١٥م.
- أحمد علي. طه حسين السيرة الذَّاتِيَّة، الوحدة مجلة فِكْرِيَّة وثقافية. المملكة المغربية، عدد٦٢،١، ١٩٨٩م.
- أحمد هيكل ، طه حسين ومعجزة طَهَ حُسَيْن، الأَيَّامُ، مجلة الهلال ، أول مايو ١٩٧٢م.
- أنجيل فانييه، طه حسين وأَسرار اللَّيل، مجلة المعرفة، العدد ١٥٣، ١ نوفمبر ١٩٧٤م .
- أيمن بكر، هوامش العميد(ملامح التجربة المعرفية عند طه حسين)،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٣م.
- إيرفنج هـ. بوخن، جماليات الرواية العليا، ترجمة محيي الدين صبحي، اتحاد الكِتَاب العرب، دمشق، ط ١.
- إيهاب الملاح، مرفأ قراءة، الأَيَّام لطه حُسَيْن الأَيَّام النص المؤسس لأدب السِّيرَة الذَّاتِيّة، جريدة عُمان، عدد٠٦ نوفمبر ٢٠٢١، https://www.omandaily.om .
- البدراوي زهران، أسلوب طه حسين، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٨م
- تيتز رووكي، في طفولتي (دراسة في السيرة الذاتية العربية)،ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة، المركز القومي للترجمة،٢٠٠٩م.
- ثروت أباظة، شعاع من طه حسين، القاهرة، روز اليوسف،١٩٧٤م.
- جابر عصفور ، المرايا المتجاورة (دراسات في نقد طه حسين)،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
- جليلة خويطر: مقومات السِّيرَة الذَّاتِيّة في الأدب العَرَبِيّ الحديث(بحث في المرجعيات)،مركز

النشر الجامعي،٢٠٠٤م.

- جيرالد برنس، مقدمة لدراسة المروي عليه، ترجمة علي عفيفي، مجلة فصول، صيف ١٩٩٣م.
- حسن بحراوي، بنية الشَّكْل الروائيّ، ،ط١،المركز الثَّقَافِيّ العَرَبِيّ، بيروت،١٩٩٠م.
- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشِّعْر العباسي، دار الرضوان، عمان ط ١.
- سحر سليمان عيسى، قراءات من المكتبة العربي،بيروت، دار البداية ناشرون، ط١، ٢٠١٢م.
- سهير القلماوي، السيرة الذاتية (الأيام)، مقال من كتاب :"طه حسين مائة عام من النهوض العربي(في الذكرى المئوية لمولده)، القاهرة، فكر للنشر والتوزيع،١٩٨٩م.
- شعبان عبد الحكيم محمد: السِّيرَة الذَّاتِيّة في الأدب العَرَبِيّ الحديث، رؤية نَقْدِيَّة،عمان الوراق للنشر والتوزيع،٢٠١٥م.
- شكري المبخوت، سيرة الغائب ..سيرة الآتي، السِّيرَة الذَّاتِيّة في كِتَاب الأَيَّام لطه حُسَيْن، تونس، مسكيلياني للنشر، ط٣ ،٢٠١٥م.
- صبري حافظ، طه حسين الإنسان والمشروع، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،٢٠٢٣م
- طه حُسَيْن في "أيّامه": أسئلة الفنّ والتغيير، دار الهِلَال، ٢٣-١٠-٢٠٢٠، عَلَى الرابط التالي: https://darelhilal.com/News/699398.aspx .
- عبد الإله أحمد، في الأدب القَصَصِيّ ونقده، دار الشؤون الثَّقَافِيّة العامة، بغداد، العراق، ١٩٩٣م.
- عبدالرشيد محمودي، طه حسين بين السياج والمرايا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٥م.
- عبد العزيز شرف: طه حُسَيْن وزوال المُجْتَمَع التقليدي القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٧م.
- عبد العظيم رهيف السلطاني، خطاب الآخر- خطاب نقد التأليف الأَدَبِيّ الحديث أُنْمُوذَجًا، دار الاصالة والمُعَاصِرة، بنغازي، ليبيا، ط١، ٢٠٠٥م.
- عبد الله إبراهيم، الغائب في كِتَاب الأَيَّام للدكتور طه حُسَيْن، مجلة الرياض، العدد ١٦٩٧٣، ٢٣ مايو ٢٠٢١م.

- عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، طه حسين والجامعة المصرية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨١م.
- عز الدين اسماعيل ، أنا المُتَكَلِّم طه حسين، مجلة فصول ، القاهرة، اكتوبر ١٩٩٩م.
- على سعده "طه حسين، الوحدة في التنوع" مجلة الآداب، بيروت، آذار، مارس ١٩٧٤م.
- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- فؤاد دوارة، أيام طه حسين، القاهرة، كتاب أخبار اليوم،١٩٩٠م.
- الكركي خالد عبدا لعزيز سليمان والسرة ، محمود "طه حسين روائيا" (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان،١٩٧٧م.
- محمد الباردي،عندما تتكلم الذات في السيرة الذَّاتِيَّة ،منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق،٢٠٠٥م.
- محمد حسن أبو الحسن تجديد ذكرى طه حُسَيْن!، جريدة الأهرام المِصْرِيَّة، الإثنين ٩ من صفر ١٤٤٤ هـ ٥ سبتمبر ٢٠٢٢ السنة ١٤٧ العدد ٤٩٥٨١. عَلَى الرابط: https://gate.ahram.org.eg/daily/News/204233/4/868976/
- محمد حسن الزيات، مابعد الأيام، القاهرة، دار الهلال،(د.ت)،
- محمد حسين أبو الحسن، تجديد ذكرى طه حسين!، جريدة الأهرام المصرية، الاثنين ٩ من صفر ١٤٤٤ هـ ٥ سبتمبر ٢٠٢٢ السنة ١٤٧ العدد ٤٩٥٨١. على الرابط،
- https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsQ/868976.aspx.
- مُحَمَّد سيّد عليّ عبدالعال، النَّص الَّذي وَجَدَ ظِلَّهُ(عَتَبَاتُ النَّصِّ السَّرْدِيِّ الحَدِيثِ)، طنطا، مكتبة النابغة، ٢٠٢٢م.
- محمد صابر عبيد، السيرة الذَّاتِيَّة الشِّعْرية لقراءة في التجربة للسيرة الشِّعْراء الحداثة العَرَبِيَّة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ٢٠٠٨م
- محمد صادق الكاشف، طه حسين بصيرا، القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٨٧م.
- محمد نجيب التلاوي، طه حسين والفن القصصيّ، القاهرة، دار الهداية للنشر والتوزيع،١٩٨٦م.
- مهدي شاكر العبيدي، طه حسين بين أشياعه ومخالفيه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٢٢م.

- نبيلة إبراهيم، خصوصية التشكل الجمالي للمكان في أدب طه حسين ، مجلة فصول ، م ٩ ، ع ١، ٢.ذ
- والتر أونج، الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين(عالم المعرفة١٨٢) الكويت١٩٩٤، د.ت.
- يسري حسن، طه حسين ، عَمِيد الأدب العربي، مجلة الموقف الأدبي، لمجلد/العدد، مج٤٧ ،ع٥٧٠، أكتوبر ٢٠١٨م.
- يوسف نوفل، الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠١٥م.

ثانيا: المصادر الأجنبية:

Gerald Prince. Narratology: The Form and Functioning of Narrative, Mouton Publishers, Berlin. New York. Amsterdam, 1982, p: 17

William Nelles. Historical and Implied Authors and Readers, Comparative Literature (V:45 N:1, 1993)